

على امرت ذبا كثر

همام

فني بلاد الأحقاف

مسرحية شعرية



هَمَّام
فِي بِلَادِ الْأَحْقَافِ

هَمَامٌ فِي بِلَادِ الْأَحْقَافِ

مسرحية شعرية

نظم

عَلَى أَحْمَدَ الْكُتَيْبَةِ

الطبعة الأولى
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صديقي - الجيزة

مُقَدِّمَةُ الْمُؤَلِّفِ

هذه المسرحية الشعرية التي استوحيت موضوعها من الحياة الاجتماعية بحضرموت ، وكتبها وأنا بمدينة الطائف ثم نشرتها بالقاهرة سنة ١٩٣٤ ، كانت أول تجربة لي في الكتابة للمسرح ، وكان لها صداها في الأوساط الحضرية منذ ثلاثين عامًا !

وقد تقدم إليّ الأخ الأديب الفاضل الأستاذ علي محمد الصبان مقترحاً إعادة طبعها ، ليتاح للأجيال الحضرية الجديدة الاطلاع عليها ، باعتبارها وثيقة أدبية لمرحلة من مراحل التطور في حياة المجتمع الحضرمي ، فرافقته على ذلك ، شاكرًا له جميل اقتراحه ، راجيًا له التوفيق فيما يتوخاه من خدمة أمتنا العربية .

المؤلف

علي أحمد باكثير

٦ ربيع الثاني ١٣٨٥

القاهرة

٣ أغسطس ١٩٦٥

تصديـر

بقلم الشاعر الكبير الأستاذ النقادة

حسن كامل الصيرفي

ناظم هذه الدراما الشعرية أديب حضرمي يحمل بين جنبيه قلبا خفاقاً
ينزع إلى الحرية .. ويصبو إلى رحابها الواسعة المتزامية الأكناف ، ولهذه
الرغبة نراه يطوي الأنجاد والوهاد ويركب متون البحار حتى يبلغ أرض
الكنانة ، رسولا من مستقبل حضرموت إلى حاضر مصر ، لينقل إلى وطنه
قبساً من نور بهي .

هو شعلة من الحياة التي تعرف حقها من الوجود الذي يأبى الركود ،
ولهذا تجددت فيه الروح الناهضة ، التي أوحى إليه بهذه الدراما .

هو شاب مخلص لوطنه كل الإخلاص ، فإذا كان ثائرا على حالة وطنه
الراهنه ، فإنما هذه الثورة عين الإخلاص .. وما ثورته إلا الرغبة في
الإصلاح.

تلمح في درامته صورا سريعة العرض تمثل ذلك القطر الشقيق رازحاً
تحت أعباء ثقيلة من بدع متوارثة ، خلفتها عصور مظلمة ، وسياسة غريبة

عجيبة ، تتحكم في مصير شعب ضعيف خدرته بالعقائد والأوهام ، فسيرته في سبلها طائعا طاعة عمياء ، وليس أقدر من العقائد على أسر النفوس التي تضعها الفطرة في دائرة محدودة ، وتسهل تفكيرها ، وتقصر مدى نظرتها . فهناك فئة من الناس تنزع الحياة الاجتماعية وتسيطر على الناس بتهويشها وخداعها ، وقد عرضت الدراما صورا لها ساخرة منها هذه الأبيات :

ولي الله ذو الجبر
و ذو المسواك في العمرة
ورب السبعة الغارق
بها يذكر في الناس

يرجع ناظم هذه الدراما جهل شعبه إلى جهل المرأة ، فهو يريد لها متعلمة كشقيقاتها الشرقيات اللاتي عرفن مكاتهن من شعوبهن ، فنهضن يطلبن حقوقهن ، فكان لتلك النهضة أثرها في شعوبهن .

وبطل درامته (الشاعر المصلح) الذي جعله المؤلف شاباً مجدداً يسخط على المسيطرين بخداهم وأضاليلهم على عقول الشعب ، ويحاول جهد استطاعته بث أفكار جديدة في بيئته فلا يلاقى إلا عنتاً ، ولا يوصف إلا بالكفر والإلحاد .

هذا البطل يجتهد أن يوصل أفكاره إلى الشعب عن طريق المرأة ، لأن المرأة كما يقول المؤلف على لسان سيدة من أشخاص درامته :
صاحبات الزمان نحنُ حياة الناس فيه والموت في أيدينا !

- ٨ -

وهذا البطل موزّع القلب والفكر بين حبين قاسيين .. حب لوطنه ورغبة في تحريره من الأوهام وترقيته إلى مصاف البلاد الراقية ، وحب لفتاة تملك عليه شعاب قلبه .

وبين هذه الحياة المضطربة من صدمات عنيفة ، ومن جحود وإنكار ، ومن قلق وكفاح ، ومن رغبة وخفوق ، يرينا المؤلف صوراً من الحياة الاجتماعية في عاصمة الأحقاف ، كل ذلك في أسلوب طلي بسيط .

على أن المؤلف — بالرغم من هذه الثورة المضطربة في نفسه — لم يزل يرفق ببيئته ، فهو يلطف من حدة أفكاره بالألفاظ قريبة إلى روح الشعب ، فيها من إطفاء الغضبة ما يمنع سحق الساخطين وحنقهم . وله الحق في ذلك فهو يلجأ إلى مثل تلك الألفاظ لكي يستطيع بث آرائه وأفكاره .

وأرى أنه لو ختم درامته بغير ما ختمت به لكان ذلك أشد وقعاً وأجلّ أثراً ؛ فلقد كان يجدر به أن يختتمها بالحياة لا بالموت . وبعد فأتمنى له حين يعود إلى وطنه فيقوم بهذا الدور ، ويث فيه الأفكار النافعة والآراء الصائبة ما تمتلئ به روحه ويزخر به إيمانه ، وأن يجعل الله خاتمة دوره الظفر والنصر وتحقيق الأماني .

القاهرة ٢٩ صفر ١٣٥٣ — ١٢ يونية ١٩٣٤

حسن كامل الصيرفي

- ٩ -

الإهداء

إلى مصدر الوحي الأول !
إلى ملاكي الجميل الذي سبقني إلى عالم الخلود ، وكلما ذكرته أوحى
إليّ !
وإلى الشعب الحضرمي الذي أحبه وأعيش من أجله ، أهدي :

هذه الأقصوصة

كذكرى خالدة للأول ،
وذكرى نافعة للثاني .

علي أحمد باكثير

تمهيد

مكان الرواية	:	مدينة (سيوون) عاصمة حضرموت الداخل
زمن الرواية	:	العصر الحاضر
أشخاص الرواية	:	
همام	-	بطل الرواية
حُسن	-	حبيبة همام
محمد	-	صديق همام ونصيره في المبدأ
علوية	-	نصيرة وحبيبة محمد
زهراء	-	أخت همام
خديجة	-	أم حُسن
شهاب	-	عم حُسن ووكيل أبيها
ولسي الله	-	خرافي دجال يتجر بدينه
سالم	-	صديق محمد
الأمير أبجد	-	أمير البلاد
بكر	-	غني يطلب يد حُسن

- ١١ -

جماعة من الأدباء		أحمد
		عقيل
		ابن عيسى
		عبد الله المغني
بدوي رافق هماما في طريقه إلى الساحل	—	عامر
أخوات عامر البدوي		ناهيمة
		سعدى
		لبنى
رجال وشيوخ ونساء ووصائف ومغنيات	—	نكرات مسرحية

الفصل الأول

« غرفة متوسطة السعة على جوانبها خزائن مملوءة بالكتب، مفروش جانب منها بسجاد رومي ثمين ، وعلى الجانب الثاني منضدة صغيرة عليها أدوات الكتابة يحيط بها خمسة كراسي بسيطة . ويظهر همام في الجانب المفروش من الغرفة متمدداً واهي الأركان ، يئن ألياً خفياً يشبه الغممة . تدخل عليه زهراء فتعرف ما به وتتجاهل فتسأل : »

المشهد الأول

زهراء : أخى ما بك اليوم ؟ إني أراك قليل النشاط كثير الضجر
أأنت مريضٌ وقيت الشُّرو ر ، وبلغك الله طول العُمر

همام : أى إن بي مرضاً في الفؤاد يا زهرٌ يُذيرني بالخطر
ولا تجهلين ماذا يصيرنوكي مما بدا منه أو ما استتر
فماذا وراءك ؟ هل من جديد سد يحفف من وجدي المستعير ؟

زهراء : أخى لا تخف في الهوى أن تغيب سباً؛ وهل يجهلُ الناسُ فضلَ القمر؟
ولا تجعلن ليأسٍ إليك سبيلاً ففي اليأس فوتُ الوطر
أيأسُ متلك وهو الرِّيح فإحرى بغيرك أن يستريح
كأنِّي بخُسنٍ تُزفُ إليك عروساً تلمُ ذيولَ الخفر
تُحيط بها الغاياتُ الحسا نُ كالبدن بين النجوم الزهر

كَأَنِّي بِأَيَاتِنَا قَدْ غَدْتُ تُصَفِّقُ بِالْفَرْحِ الْمَزْدَهَرِ
وَأَنْتَ عَرُوسٌ تُحَيِّي الْوَفُو دَ وَتُخْطِرُ بَيْنَ صَفُوفِ الزَّمَرِ

هُمام : أَزْهَرَاءُ لَا عَدِمَتْكَ الدِّيبَا رُ ، حَدِيثُكَ يَقْشَعُ عَنِّي الْكَدْرَ
لَأَنْتِ الْعِزَاءُ إِذَا مَا أَتَيْتِ وَأَنْتِ الْهِنَاءُ وَأَنْتِ الْحَبْرُ^(١)
فَأَيْنَ الْكِتَابُ ؟ أَمَا تَقْرَأَيْنَ ؟

زَهْرَاءُ : بَلَى ! ذَا الْكِتَابِ مَعِيَ قَدْ حَضَرَ
كِتَابُ كَرِيمٍ خَلِيقَ بِهِ بِأَنْ يَكْتُبُوهُ بِنُورِ الْبَصَرِ
« بِلُوغِ الْمَرَامِ » وَ« سُئِلَ السَّلَا م » عَلَيْهِ تُحَجَّلُ مِنْهُ الْغُرَرُ
أَحَادِيثُ طَهٍ وَآيُ الْكِتَابِ ب تَلَأَلُو فِيهَا خِلَالُ السَّطَرِ
وَأَقْوَالُ مُجْتَهِدِي الصَّحْبِ وَالْأَثَمِ لَ مِنْ كُلِّ جَبْرِ أَبَرِ
فِيَاخُذُ مِنْهَا الْفَتَى مَا صَفَا وَيَتْرَكُ مِنْهَا الْفَتَى مَا كَدَرَ
وَمَنْ لَآذَ مِنْ بَعْدِهَا بِالْهَوَى فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمُسْتَقَرُّ

« يَتَبَسَّمُ هُمَامٌ إِعْجَابًا بِهَذِهِ الرُّوحِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الَّتِي وَفَّقَ
لِبَدْرِهَا فِي نَفْسِ أَخْتِهِ . وَتَعْرِفُ هِيَ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ
تَسْلِيَةً لَهُ وَتَهْدِئَةً لِأَفْكَارِهِ الْمُضْطَّرَّةِ فَتَطْرُدُ فِي حَدِيثِهَا » :

فَلَا سَلِمَتْ كُتُبُ الْجَامِدِينَ وَلَا فَازَ قَارِئُهَا بِالْوَطَرِ
صَحَائِفُ لَا رُوحَ فِيهَا وَلَا يَجُولُ بِهَا ذَكَرُ نَحِيرِ الْبَشَرِ
يُصَوِّرُ فِيهَا مُحَالَ الْأُمُورِ ، وَيُتْرَكُ فِيهَا مُهِمُّ الصُّورِ !
فَتَلُكُ الْجَوَاهِرُ أَيْنَ الرَّمَا لُ مِنْهَا وَأَيْنَ خَسِيسِ الْحَجَرِ ؟

« يستولى على همام الالبساط ويأمر أخته بالقراءة فتقرأ فصلاً من الكتاب يقول لها بعد الانتهاء »

صار فرضاً عليك أن تنشرى هـ هذا الهدى فى جماعة النسوان
فهدى الشعب من هدى أمهم هـ ات الشعب فى كل موطن وزمان
وبنات الأحقاف أولى بأن يخذل هـ من شتى العلوم والعرفان
وبأن يطهرن من لؤ هـ ث الأوهام مما يخل بالإيمان
فيريّن الحياة من غير معنى هـ غير تلك الحياة وهى معانى !
زهراء : ليطب يا همام نفساً فما تر جو سأسعى فيه بغير توان
ولقد سرّنى استماع صديقا تى لقولى وقدرهن مكانى
همام : بارك الله فى الصغار ففيهن قبول للحق إمّا دُعينا
إنما السرّ فى العجائز يحمّد ن جُمود الحصى فلا يهتدينا !
زهراء : نحن بالأمس ثلّة ضمنا مجلس عرس فى بيت جار أينا
ولدينا شريفة جمعت حسنا ولطفاً جمّاً وعقلاً رصينا
سمعتنى - ولست أعرفها - أَل قى على الحاضرات درساً مبينا
سُقت من أخبار الشهيرات فى الإسلام ما ردهن لى يُصغينا
شاقهن الحديث عن سيّدات ففن بعض الرجال علما ودينا
ثم حرّضنهن أن يتشبهن بتلك الشموس أو يقتدينا
قلت ليس الرجال أولى بكسب ب العلم منا فإننا مُستورنا
ومن العلم ما بُعرّفنا الدين ومنه ما سدّ فإننا مُستورنا
وأهم الأمور تربية الأو لاد كى ينشأوا من العاملينا
صاحبات الزمان نحن ! حياة الناس فيه والموت فى أيدينا !
إن نتمّ فالورى بنا سعداء وشقاء حياتهم إن شيننا

فعلينا لرئنا واجبات ليس نيرا من إثمها ما بقينا
كيف نستطيع بالجهالة يوما أن نؤدي أمانة الله فينا ؟
صحن في أسمع الرجال : أليس من العلم فرضا على النساء مينا ؟
فيم غادرتم البنات على جهل وقمتن تعلمون البنينا ؟
هل أقمتن مدارس للواتي إذ أقمتن مدارس للذينا ؟

* * *

فقدنت تلك الشريعة مني وحبتي من الشاء فنونا
ثم قالت : عمن تلقيت هذا ؟ قلت عن صنوي الذي تعرفينا
عن همام . قالت همام أضحى بحسن بين الوري مفتونا ؟
والذي يذكرون عنه ابتداءا بعس هذا الوري وما يفترونا !
إنني قد أنست من قولك السا لف روحا قياضة ويقبنا
فتساءلت من يكون الذي لقد من هذي الهدى تلقينا ؟
فذكرت امرأ جعلت فدا ه دون ما عابته به الجاهلونا !
ليتني أستطيع أن ألقى عنه ه شيئا ! أني لذا أن يكونا
قلت : نفسي فداك يا ابنة طه أنتم آل بيته الأكرمونا
ليس بدعا أن تنصروا سنه لة الهادي بنصرها قمونا
إنما البدع أن يكون بنو المخ تار عن هديه من الناكينا !
غير أن ما رأيت مثلك في نسه رة «سيوون» تعشق المصلحينا
إن سرا في الأمر يحسن لو أد ريه ، قالت يسرني أن يينا
نحن من بيت سادة يكره الدج ل ويأبى من الأمور الدونا

- ١٦ -

جَدُّنَا الْأَكْبَرُ الشَّرِيفُ « عَقِيلُ »

سَنُ نَهْجُ الْهَدَى لَنَا مَا حِينَا
عِنْدَنَا مِنْ آثَارِهِ « سَيْفُهُ الْمَسْلُوكُ

لِ » يَفْرِي أَوْ هَامَهُمُ وَالظُّنُونَا

* * *

بَلَعَى عَنِ السَّلَامِ هَمَامًا وَرَجَائِي إِسَاءَهُ فِي النَّاجِحِينَ
وَعَدًا نَلْتَقِي وَيُحْسِنُ الرَّحْمَ مَنْ قُلْتُ الرَّحْمَنُ يَبْقِيكَ فِينَا
هَمَام : بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ ! هَذِي فَتَاةٌ مِنْ سَلِيلِ الْأَفَاضِلِ الْأَطْهَرِينَ
جَدُّهَا كَانَ فِي الْحِجَازِ مَنَارًا لِلْمَعَالِي يُؤْمِنُ الطَّالِبُونَ
ذُبَّ عَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ وَلَا تَقَى مِنْ بَنِي قَوْمِهِ أَدَى وَفُونَا
رَبِّ آمَنْتُ بِالْوِزَارَةِ ! أَنْتَ اللَّهُ أَرْسَلْتَهَا لَنَا قَانُونَنَا
هَذِهِ رُوحُ جَدِّهَا ، رَبُّ وَفَقَ هَا وَأَزَرَ بِسَعِيهَا النَّاهِضِينَ
« يَلْتَفَتُ إِلَى زَهْرَاءَ مَسَائِلًا » :

أَلَدِيهَا رُوحٌ ؟

زَهْرَاءَ : قَضَى زَوْجُهَا النَّحْبَ بَصَغِيرًا لَمْ يَبْلُغِ الْعِشْرِينَ !
وَقَضَى قَبْلَ رُوحِهَا أَبَوَاهَا فَهِيَ تُكَلِّمُ تَعِيشَ عَيْشًا حَزِينًا
خَبَّرْتَنِي عَنْهَا سَعِيدَةً إِذْ كَانَتْ قَدْ اسْتُخْدِمَتْ لَدَيْهِمْ سَنِينَ
هَمَام : مَنْ يَلِيهَا إِذَنْ ؟

زَهْرَاءَ : شَقِيقُ أَبِيهِ عَالَهَا رَغْمُ كَوْنِهِ مَسْكِينًا
هَمَام : ذَكَّرْنَا لَكِي نَوَاسِيَةَ الْقَيْدِ نَةً بَعْدَ الْأُخْرَى .
زَهْرَاءَ : أَصَبَتْ قَمِينَا

- ١٧ -

همام : لم تجد بعد زوجها خاطبًا ؟
 زهراء : لا .
 همام : أو ليست حُسْنًا كما تذكرينا ؟
 زهراء : بل هي الحسن كله - عَلِمَ اللهُ - متاع الرائيين والسامعينا !
 همام : غير أن الشَّبَابَ في هذه الأنحساء بالحسن ليس يحتفلونا
 إنما ينظرون للمال فالما ل هو الزوجة التي يخطبونها
 وَيَرَوْنَ الكمالَ في ذات أم لا يُرى زوجٌ بنتها مغبونا
 تتوخى رضاهُ في كل حين فتزیه من الطعام فنونا
 فكان لم يكن لديهم من الحب سوى ما يسدُّ منهم بطونا

المشهد الثاني

« في القاعة الكبرى للمدرسة حيث تقام الحفلة السنوية
 وقد حضر إليها الناس من كل الطبقات ليشهدوا التلامذة
 ويسمعوا خطبهم ومحاوراتهم .
 التلاميذ في وسط القاعة متميزين عن الناس والناس محيطون
 بهم . همام يقوم بعد فراغ التلاميذ ويعتلي منصة الخطابة » .

يا بني مدرستي إني لكم ناصحٌ يصفىكم النصيح أمين
 لنبات الشعب أنتم فليكن كلها من ذلك الصلب المتين
 إنَّ برنامجَ تدريسيكم ليس برنامج قوم مرتقين

تُرهِقُونَ النَشْءَ بِالْحَفَظِ فَمِنْ حَفَظِ تَقْرِيرٍ إِلَى حَفَظِ مَتُونٍ
 لَيْسَ فِي ذَاكُمُ لَهِمٌ مِنْ صَالِحٍ إِنَّهُ يَقْتُلُ فَهْمَ النَّاشِئِينَ
 فَدَعُوا الْحَشَوَ وَرَبُّوا فِيهِمْ مَلَكَاتِ الْحَذَقِ فِي كُلِّ الْفُنُونِ
 اسْتَقُوا التَّوْحِيدَ مِنْ يَنْبُوعِهِ وَانْبَلُوا كَتَبَ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعِينَ
 لَا تَرِيدُ النَّفْسُ إِلَّا حَيْرَةً لَا كَأَسْلُوبِ الْكُتَابِ الْمُسْتَتِينَ
 لَمْ تُولَفْ لَكُمْ هَاتِيكَ ، بَلْ أَلْفُوها لِحِجَاجِ الْمُلْحِدِينَ
 وَاقْصِدُوا فِي الْفَقْهِ لَا يَأْخُذْكُمْ لَيْسَ فِي الْفَقْهِ غَدَاءُ النَّاهِضِينَ !!

« أَحَدُ الشُّيُوخِ يَقُومُ وَيَحَاوِلُ تَسْكِيَتَ هِمَامٍ وَيَصِيحُ » :

يَا عِبَادَ اللَّهِ ! هَذَا مَارِقٌ يَنْدُبُ النَّاسَ إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ
 أَسْكُوه أَسْكُوه ! إِنَّهُ يَا عِبَادَ اللَّهِ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ
 شَيْخٌ آخَرُ : هَذَا وَهَابِيٌّ !
 ثَالِثٌ : هَذَا مُعْتَزِلِيٌّ !
 رَابِعٌ : سَلُّوْا فَاہَ
 خَامِسٌ : لَا تَدْعُوهُ يَغْوِي النَّاسَ !
 سَادِسٌ : هَذَا مَا كُنَّا نَخْشَاهُ !

« هِمَامٌ رَافِعًا صَوْتَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْغَضَبِ » :

أَنَا لَا أَصْغِي لِتَسْكِيَتِ امْرَأٍ أَنَا لَا أَخْشَى صِيَاحَ الصَّائِحِينَ
 خَطْبَتِي لَا بَدَّ مِنْ إِيْمَامِهَا
 شَيْخٌ مُتَنَوِّرٌ : أَلَمْ تَكُنْ الْخُطْبَةُ إِنَّا سَامِعُونَ
 لَا تُبَلِّ ؛ مَنْ رَامَ أَنْ يَقْطَعَهَا فَلْيَقُمْ إِنْ شَاءَ فِي الْمُنْصَرَفِينَ

همام : أنا لم أذُغُ إلى غير الهدى وإلى غير نهوض المسلمين
أنقمتهم دعوة الناس إلى
« ملتفتا إلى الشباب »

اسمعوني يا شباب الحبي ، لا
.. ..
اقرأ وافقه حديث المصطفى
لا تهابوا اليوم أن تجهلوا
وكتاب الله باقٍ خالد
ادرسوه درس أحياء ولا
ادرسوه وفق نهج خطئه
إنه يشعل في أنفسكم
إنه يبعث في أرواحكم
فتح الدنيا بها أسلافنا
وأضعناها فهنا بعدها
ليست الأخلاق لنا في الخطي
إنما الأخلاق أن لا تبطنوا
إنما الأخلاق أن لا تزكوا
رفع الإسلام من أنفسكم
لا تذللوا لسيوى الله ، ولا
يُقصكم عني مقال الجامدين !
ليس في الفقه غذاء الناهضين !
تعبوا الشك إلى برد اليقين
إن سر العلم للمجاهدين !!
تنجلي آياته في كل حين
تدرسوه درس قوم ميّتين
(مصلح الإسلام^(١)) ذو الفضل المبين
جنوة الدين وعز المؤمنين
قوة هائلة لا تستكين
من ربى الغرب إلى السور المكين
وغدونا مضغّة للأكلين
وخضوعاً هو للنفس مهين
غير ما للناس أنتم تظهرون
نصرة الحق للوم اللامنين
فارفعوها عن دعاء المقبرين
تخضعوا إلا لرب العالمين

(١) هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده .

- ٢٠ -

« أحد الحاضرين لصاحبه » :

لله ما أفصحه !

الآخر : والحق - والله - معه !
 الأول : لكن هؤلاء لا ييغنوننا أن نسلم معه
 الثاني : أقواله مؤلمة هؤلاء موجهة
 الأول : لأنها تقطع ما كان لهم من منفعة
 همام : حكموا الأنصاف فيما بينكم لا يكن قووم لقوم حاقرين
 فالمساواة على أعذليها ميزة الإسلام عند الباحثين !
 وأحو الحق إذا لم يُعطه أخذ الحق انتهاباً باليمين

* * *

المشهد الثالث

« بهو كبير - في دار أحد أدباء البلد - مفروش بالبسط
 الجميلة من المخمل الثمين ، منقوشة جدرانه برسوم فنية جميلة
 للأزهار المختلفة تحملها الأغصان الخضراء . جماعة من الأدباء
 في المجلس بينهم كثير من أتباعهم المتأدين يشربون ويتحدثون .
 أمامهم عدة شاي مصقولة يخطف بريقها الأبصار يتولاها
 أحدهم . يدخل همام مسلماً » .

همام : عموا مساءً يا أصدقائي

الحاصرون : مسيت بالخير والهناء

أهلاً وسهلاً

أحمد : (أحد الأدباء) هذا ابن عيسى
 يذمّ فينا أبا العلاء
 همام : في الدين أو في البيان ؟
 أحمد : بل في
 كل الشؤون على السواء
 همام : لا يا ابن عيسى جزت المدى لا
 بدّ من العدل في القضاء
 « ملفتاً إلى أحمد »

وأنت ماذا تقول فيه ؟

أحمد :
 إنني أراه في الأتقياء
 همام : كلاً كما قد غلا ، فهذا
 ذمّ ، وذا لُجّ في في الثناء
 بل هو في شعره إمام
 جَدَّد نهجاً للشعراء
 لكنّه كان في أرياب
 من دين مولاه وامتراء
 فقال ما قال غير حاشٍ
 ولا مُداحٍ ولا مُراءٍ
 وممكنٌ أنّه حُطّي في
 أنحرى لياليه باهتداء
 فربّ شكٍ أفضى بمولا
 ه - بعد ما حار - للجللاء
 « تدار كؤوس الشاي ويأخذ همام كأساً »

شرب الشاي خيرٌ لي
 من الدنيا وما فيها !
 إذا ما أقبلت كأسٌ
 كخزْدٍ في تهاديهها
 قولي لهم من نفسي
 ودانت لي أمانيهها !
 عرفتم من هو القائلُ
 هذا الشّعْرُ في الشاي ؟
 يرى في الشاي دنياه
 فما صحّة ذا الراي ؟
 (أحد الأدباء) :
 لا تعجبنّ همامُ تلك حقيقةً
 كالشمس فيها الشاربون سواءُ

عقيل

ما قيمة الدنيا وما فيها إذا ما لم يكن شايّ ولا ندماء ؟
 همام : إنّ في الشاي عزاءً لصريع الهمم والغمم
 لكيب أو حزين أو عميد أو متيم
 حاز لطف الخمر إلا أنه غير محرم ؟
 من صفاء اللون في العين وحسن الذوق في الفم
 هو مسلاة أديب فيه من بلواه معصم
 ورسولٌ للتأخي يجمع الناس وينظم
 غير أنّ القصديّ في الأشياء منجاةً ومغنم
 فغلونا فيه حتى صار فينا يتحكّم
 وغدا وهو على القور ت الضروري مُقدّم !
 وشربناه بلا وزن وتقديم مُنظّم
 فلكنم يسلبنا الماء ل وكم يُسقمنا كم
 ولكنم ألقى على بيت كريبهم فتهلّم
 ولكم عائلة جرّ عها صابأا وعلقم
 ولقد زاد بلاءً أنه في قُطرناء عم
 فهو في القصر ، وفي البيت ، وفي الكوخ المرمر 11
 عليل - ملتفتاً إلى «عبد الله» المغني :

يا بلبل الأفرح والسُرور اصدَحْ ثموسيقاك في الحضور
 غن لنا شعر (أبي كثير) في الشاي وانشر ميت القبور !
 (يتهياً المغني ثم يرفع عقيرته يتغني بصوته الجميل ولحنه الطروب) :
 يا صاحب القلب الشقي بقومه إرفق بهذا القلب لا يتحطم !

أخدم بلادك ما استطعت وكل إلى

مولاك ما لم تستطعه وسلّم

ومن الجفا أن لا تحيي مثلما حيّاك وجه العيد مبتسم الفم

ذرّ بعض همك واقض بعض حقوقه

لا بدّ للمحزون من مُتَبَسِّم !

واقذف شياطينَ الهموم بأكؤس

تنفضُ من (بُرّاد) شاي مُعلّم^(١)

مخضرة جنّاته فاعجب له من جنة خضراء فوق جهنم !

شاي يفوز من احتسائه بلثمة من كل خلد في الحسان ومبسم !

من (باسلامة) مثل ذوب التبر أو

من (مشعبي) مثل لون العندم^(٢)

مثل الطلا في لونها وصفائها ونقيضها في رجسها والمآثم

لا نقص عنها فيه إلا أنه خلّو المذاق وأنه لم يحرم

فاشر به متخذاً نديك كل ذي أدب متى نادمته لا تندم

همام : أحسنت يا بلبل الوادي !

آخر : أجدت

آخر : لقد رَوّح ستّ بالصوّت أكباداً وأرواحا

همام : وقد تفرد بالإحسان شاعرنا إذ ضمّن الشعر توصيفاً وإصلاحاً

وأنصتوا لشاعر من شعرائكم سري

« الحامدي » يصف الشاي بوصف عبقرى !

(١) البراد يطلق هناك على إبريق الشاي .

(٢) صنفان من الشاي اشتهرا في حضرموت بهذين الاسمين .

- ٢٤ -

روّق لها ماء الغمام وهاتها لي والحباب يحول في جنباتها
صهباء ما عبت بها يدُ عاصر ما عاشرت إلا أكفّ سقّاتها
من جيّد الشاي استحال عصيرها
فغدّت تحاكي الشهب في جاماتها
قد راق منظرها ورق زجاجها
فإلعللة لم يُدهقوا كاساتها
لولا انتصاف الكاس خيل أنها
في كف ساقها تقوم بذاتها !
وإذا الهموم على النديم تكاثفت

وبدت أشعتها جلت ظلماتها !
حقاً لدينا نهضة أديّة لا تُنكرُ
عمّرت نوادينا ، بها يستبشر المستبشر
نشط البيانُ فشاعرٌ يتدو وآخر ينثر
هذا لعمري مُؤذنٌ بنهوضنا ومبشّر
(يتهد)

لكنّ .. مشي العلم في أحيائنا متعثر !
جمّد (الفقيه) على متو ن بالشُّروح تُفسّرُ
وكانها التنزيل أو هي بالقداسة أجدر !!
ويرنل (النحوي) كُتبَ خلافه ويقرّرُ
يمضي عليه عمره لا يستطيع يُعبرُ !
أما (الحديث فإِنَّهم يتلونّه كي يؤجروا
ووظيفة (الذكر الحكيم - م) على القبور يكرّرُ !
أما سوى هذي العلو م فأمره مُستحقّ

- ٢٥ -

كيف النهوض لأمة لا علم فيها يُذكر؟
في الدين والدنيا جميعاً سيرها مُتَقَهِّراً
أحد المتأدين (معروضاً) :

هَمَام
إنّا علينا السعي للـ آخرى ؛ وللدنيا سوانا !
أو ليست الدنيا بسجـ من المؤمنين كما أتانا ؟
الله يأمر أن نكو ن أجلّ أهل الأرض شانا !
وأشدهم بأساً وأر فعيم وأعلامهم مكانا
كيما نقيم العدل في الـ دنيا ونملأها أمانا
فإذا اتبعنا ما يقول فسوف يُدخلنا الجنانا
فنرى بها الدنيا كسجـ من لا نرى فيها رضانا
والدين بالدنيا فليس يقـ يوم ما ضعفت قوانا
وطبيعة الإسلام لا ترضى المذلة والهوانا
هذا المرأء ، وحسبنا قرآن مولانا بياننا

« يلتفت إلى جماعة من الشبان العاطلين من أبناء السادة
والمشايع كانوا قد حضروا المجلس » :

يا بني الأشراف قوموا وانهضوا
فكفى ما كان منكم من كسل
اعملوا لا تتوانوا واعلموا أنّ هذا ديننا دين عمل
بينما الناس على أعمالهم بين تشمير وجدّ مكمل
تهدؤون كأسراب القطا وتمشون كقطعان الهمل ؟
أفلا يغشاكم فيه حبا ؟ أو لا يلحقكم فيه خجل ؟

- ٢٦ -

أحدهم : إنهم أسياننا ينهوننا
 فعليها العلم أن نخدمه
 همام : إن هذا الرأي منهم خطل
 فمتى عُذٌّ من العار على
 يجلب الخير إلى أهليه مِنْ
 وأنحياتٍ على أوجهها
 تمنى ما لدى جاراتها
 أو لم يكتسب المختار في
 طالب العلم ولا كسب له
 ليس من لم يكتسب متكلاً
 عن تعاطينا لأعمال السفلى
 وسيغنى من على الله اتكل !
 وأراكم لا تقرون الخطل
 سيّد مسعاه في خير السُّبل ؟
 والدِ أعمى وأم تبتهل
 كمّدة اليأس ولألاء الأمل !
 من أثاث وحليّ وحُلل
 عهده والآل والصحب الأول ؟
 بسؤال الناس لا بُدَّ يذل
 إنما الكاسب عين المتكل !

* * *

أبني الرسول تعلموا وتدبروا سُنن الحياة
 لا تجمدوا ! إن الجمود سبيل من كره النجاة

* * *

أسلافكم وحدودكم شهدوا عصوراً غير هذا
 فلو أنهم شهدوه ما انتبذوا عن الدنيا انتبذا

* * *

لا تجعلوا أعمالهم حججاً ، ولكن محصوها
 فحنوا محاسنها وخلّوا ما ترون الرئب فيها

* * *

- ٢٧ -

لا بأس من تمجيد ذك — اراهم فني التمجيد ذكرى !
كم حاضر تحت الرمو — س أفاده ماضيه نشرنا

* * *

لكن بحيث يهيب نح — و المجد منطلق القيود
العصر غير العصر وال — أشبال أبناء الأسود !

* * *

كانوا هداة الناس بل — كانوا ملائكة التقى
قد أكبروا شأن الفنا — وأصغروا شأن البقا

* * *

لما سرت رُوح التصو — ف والتبثّل فيهم
مقتوا الحياة كأنها — أشياء لا تعيهم

* * *

فالموت همهمو ، وغا — ية همهم دار المآب
فغنوا لهذا بالقبو — ر وما إليها من قباب

* * *

وتعشقوا الموتى فأح — يوا لا ذكّارهم المواسم
يجنون عندهم العزا — عن عيش سوء غير دائم

* * *

فقفوا أمامهم خشو — عا في سكون واحترام
فقد انقضت أدوارهم — فعليهم أركى السلام

* * *

- ٢٨ -

شَهِدُوا زَمَانًا فِيهِ قَدْ غَلَبَ الْجَمُودُ عَلَى ذَوِيهِ
أَنَلَوْهُمْ ظُلْمًا لَّأَنَّهُ كَانُوا فَرِيقًا مِنْ بَنِيهِ ؟!

* * *

إِنَّا لَنُظْلِمُهُمْ إِذْنٌ وَهُمْ اتَّقَاةُ الصَّالِحِينَ
رَامُوا رِضَى مَوْلَاهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَعْمَلُونَ

* * *

لَكِنْ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا لِلْحَقِيقَةِ طَالِبِينَ
لَا تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ عَنْ هَؤُلَاءِ مُسْلِمِينَ

* * *

وَتَدَافِعُوا عَنْهُ — عَلَى جَهْلٍ — بِحَقِّ أَوْ بِيَاطِلٍ
لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ عَنْ خَطِئِهِمْ وَإِنْ كَانُوا أَفْضَلَ

* * *

الْيَوْمَ قَامَتْ نَهْضَةٌ فِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ حَيَّةٌ
وَسَرَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ فِي حَيَاتِهِ الْأُولَى الْقَوِيَّةُ

* * *

شَبَّتْ بِهَا الْحَرْبُ الضَّرُوءُ سَ عَلَى الطَّوَارِئِ وَالْبَدْعُ
مِمَّا بِهِ الْأَهْوَاءُ قَدْ مَا أَلْصَقَتْهُ وَالشَّيْخُ

* * *

فَلَقَدْ هَوَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحُضِيِّضِ الْأَوْهَدِ
وَقَضَتْ عَلَى أَوْطَانِهِمْ لِلْمُسْتَبَدِّ الْمُعْتَدِي

* * *

لا بدّ من هذا الرجوع إلى الكتاب الخالد
وإلى هُدى المختار والسلف الحكيم الراشد

* * *

فعلیکموا أن تدخلوا هذا الغمار ولا تکعّوا
أنتم بنو الهادي فما في سبقکم للفضل بدع

* * *

كونوا مثال النبيل كونيوا قادة للمسلمين
والدين كونوا في طليعة ناصريه المصلحين

* * *

واقضوا على الأوهام لا تجدّد بينکم نصيرا
ومتى دعوتكم للصالح هديتم بشرا كثيرا !

* * *

وتعلّموا أن الوری في شريعة الهادي سواء
ما الفضل إلا بالتقى والكل من طين وماء

* * *

أما التّقاليد القديسه فاتركوها أجمعاً
أو لم تكن للفتنة العمياء فيکم مهيعاً ؟

* * *

عاذ جرت قدما يطول بها القوي على الضعيف
العصر عفتها ، وليس يقربها الدين الحنيف !

(يرى ثلثة منهم يتهامون)

فيمّ تهامون ؟ ومسمّ تعجبون ؟

(ينظر بعضهم إلى بعض ويحيب أحدهم) :

القوم للذي قد قلت مُنكرون !

آخر : يقولون ترشّدت !

همام : وهل بالرّشْدِ مِنْ لوم ؟

فهذا (قُطِبَ الإرشاد د) ربّ الفضل في القوم !

أحدهم : نحن نعى فئة النصب التي أبغضتنا آل بيت المصطفى !

جاهرتنا بالعدا في (جاور) وبوادي (حضرموت) في الجفا

همام : سُوتِم ظننا ، وما زلتم لمن جاءكم بالنصح تبدون الجفا

إنني من أعظم الناس لما كان من شَغْبٍ (بجاوا) أسفا

وأراها سببة تجعلنا في عيون الناس بين السُّخفا

غير أنني لا أرى أعظم أسـ بابها إلا جمود الشُّرفا !

وقفوا في وجه سيّلي لو تولّـ هـو بالحُسنَى لأروى وشفى

فطغت أمواجه ، حتى لقد جرف الأسداد فيما جرفا !!

حكّموا الأهواء ثم انطلقوا بالأهاجي بملاؤن الصحفا

ونسّوا أن المبادي لا ترى نُجّحها ما لم تُوّاخ الشُّرفا

* * *

أنا لا أعرف (إرشادية) لآ ولا (رابطة) أو جنفا

إنما أعرف (إسلامية) تجمع الناس على عهد الصفا

تجعل الناس سواء لا ترى فيهم ربّا ولا مستضعفا

أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذهبنا المصحفا

أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السُّدفا

- ٣١ -

فغدا العُرفُ لدينا مُنكرًا وغدا المنكرُ فينا عُرفًا

* * *

أنا لا أعرف إلا دعوةً (لجمال الدين) شقت غُلُفا
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ، ولا بدع تحسب فيه زلفا
تفتح العلم على أبوابه في وجوه المسلمين الخنفا
ليكونوا سادة الدنيا — كما وعد الله — عليها خُلُفا
ولقد أَلَّها تلميذه « عبده » فيما دعا أو أَلَّفا
بث روح الحق في أتباعه فغدوا فينا غيوثًا وكُفُفا
فلنبث الروح فينا هذه في إخوانٍ ووفاء ووفى
لنحوز الفوز في الأخرى وفي هذه الدنيا المقام الأشرفا

* * *

يا بني الأحقاف توبوا للهدي

واتبعوا (الذكر) ولوذوا (بالسنان)

وانشروا العرفان في قطركم

واستغلوهُ وأحيوا كل فنّ

وتناسوا ما مضى وامتزجوا

وارحضوا الأحقاد عنكم والإحسان

* * *

بينكم جنس ، ودين جامع

ولسان وعهود ووطـن

(ستار)

الفصل الثاني

المشهد الأول

« همام في مكتبه الذي يستقبل أصدقاءه فيه يتصفح أوراقا
له ورسائل . يستأذن عليه « محمد » .. يتعانقان ثم يجلسان
على كرسيين متقابلين تفصل بينهما المنضدة .

همام : أخي ! أين تقيّيت ؟ فعهدي بك من شهر
جرت في الربع أحداثٌ وظني بك لم تدب
محمد : ذهبتُ إلى زيارة شيخ أهل الكشف والسرّ
(وهنا يتسم ابتسام السخرية)

عمود الدين في « قيّدو » ن « شيخ البر والبحر
ألم أخبرك إذ يّممتُ ما يّممتُ من أمري ؟
همام : (متنفسا الصعداء)

بلى إنني ذكرتُ الآ ن ! فاقبل يا أخي عذري
بلانني الله بالحبّ ! فعقلي ذاهل دهري
نهاري كله فِكر ! وليلي مدمع يحري !
ولا ينفعني علمي ولا رأيي ولا فكري
ولا المشهور من فضلي ولا الممتع من شعري !
محمد : أخي ! لا تنس أن تصير فالتّج مع الصّير
وخلّ اليأس ولتقرأ معي : إن مع العسر

لما تَأَلَّم في جسمي وما تغتمُّ في صدري !
وما يحملُه ظهرك محمول على ظهري !
ألا تخبرني ماذا جرى طيلة ذا الشهر ؟
: جرى .. ماذا جرى ؟ لا
« وليُّ الله » ذو الحُبُو
وذو المسواك في العِمَّة قـ
وربُّ السَّبْحَةِ الغار قُ في التسييح والذكر !
بها يُذكرُ في الناس ولا يذكرُ في السرِّ
ومن يمشي بعكازين من أتباعه الكُثر !
يطاطي رأسه للأر ض كالباحث عن سرِّ !
تدنى من (شهاب) سا عيًّا بالختل والمكر
أتاه غاطبًا (حُسْنًا) لراشي دينه (بكر)
ولم يألُ اجتهدًا عنـ ده في الغض من قلدي
رماني بصنوف الزيغ والبدعة والكفر
ولا تجهل طرق القو م في الحيلة والخـ !
: خفف عليك ! فإن أمرك هين والرأي يبصره ذوو الأحلام
أفقدُ عدوك روحه بسلاحه وافلل شبا الصمصام بالصمصام
(في شيء من العتب والموجدة)
أتريدنا نرشو الخبيث كما رشا بكرًا ؟ وأين مقامه ومقامي ؟
إن لم نكف عن الآثام نفوسنا فعلام ننقم ضلَّة الأقسام

همام

محمد

همام

- ٣٤ -

محمد

: لا يُخْطِرُ ظَنِّكَ مَا أَرَدْتُ ، فَلَمْ أَرِدْ

إِنَّا نَلُودُ بِسَبَّةٍ وَمَلَامٍ

إِنَّا لَنَرِئاً أَنْ نَقَارِفَ خَلَّةَ تَزْرِي عَمْدَتِنَا الْقَوِيمَ السَّامِي !

لَكِنْ أَرَدْتُ سَقُوطَ هَذَا الْمُرْتَشِي

بِطَرِيقَةٍ تَكْسِبُوهُ ثَوْبَ الذَّمِّ

وَنَرَى خَازِيَهُ الْأَنَامَ لِيَقْلِعُوا عَنْ هَذِهِ الْأَوْتَانِ وَالْأَصْنَامِ !

مَنْ كُلِّ قَاسِي الْقَلْبِ يَنْصَبُ دِينَهُ لِقَضَاءِ لَذَاتٍ وَجَمْعِ حَطَامِ

سَاطِئِلِ مَحْتَتِهِ ، وَأَبْطَلَ سَحْرَهُ قَسْرًا وَالصِّقُّ أَنْفَهُ بِرَغَامِ

وَسَيَّبُصْرَهُ ذُوو الْعَقِيدَةِ فِيهِ فِي

بِرَدِّتِهِ أَيَّ مَدَجِّجٍ لَأَنَامِ !

همام

: (وَهُوَ يَبْتَغِي ابْتِسَامَةَ الْإِعْجَابِ وَالرَّضَى)

بُورَكْتُ يَا خَيْرَ الصَّخَابِ ! وَبُورَكْتُ

رُوحَ الشَّجَاعَةِ فِيكَ وَالْإِقْدَامِ

لَتَنَمَّ جَفَوْنِي مَا سَهَرْتُ فَإِنْ أُنَمَّ

وَسَهَرْتُ أَنْتَ فَلَسْتُ فِي النَّوَامِ

مُحَمَّدُ هَاتِ عَنْ قَيْدِ مَنْ مَازَا كَانَ مِنْ أَمْرِ ؟

وَمَا شَاهَدْتَ فِي الْمَوْسَمِ مَنْ عُرِفَ وَمَنْ نُكِرَ ؟

وَهَلْ وَفَّقْتَ فِي الْإِنْكَارِ وَالتَّذْكِيرِ وَالزَّجْرِ ؟

تَوَافَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى قِيَادُونَ كَالذَّرِّ

محمد

فَمَنْ سَاعِيَةٌ تَمْشِي وَمَنْ رَاكِبَةٌ الْحُمُرِ

هَنَّاكَ السَّاحَةَ الْكَبِيرَى تَحَاكِي سَاحَةَ الْحَشْرِ

بِهَا مَا شَتَّتَ مِنْ لُحُو وَمَنْ لَغُو وَمَنْ هَذَرِ

- ٣٥ -

وقد غَصَّتْ بأشْجَاتٍ من الآسَادِ والعُفْرِ !
تبارت ثمَّ في الحِلْمِ سِية والأبرادِ والخُمْرِ
وقد يقتُلْنَ بالمِعْصَمِ ! وبالنَّظَرِ السَّحَرِي !
من الظُّهْرِ إلى العَصْرِ إلى مُنْبَلَجِ الفَجْرِ !
هناك الخسر في الدين وحسب الناس من خسر
ولا يربح في تلك السَّـ زيارات سوى النَّجْرِ
وأما سِبادن القبة فهو الرابح المَثْرِي !
تُسَاق لِدَارِهِ الأَكْيَا س من حَبٍّ وَمِنْ ثَمَرِ
(و) للصندوق) ما يبا ع من ورقٍ ومن ثَبَرِ !

* * *

ولما حضر الوقت تداعَوْا كضحي النفسِ
وأُمُّوا نحو قبر الشَّيْخِ بِالطَّيْلِ وبِالزَّمْرِ
يصيحون : وليَّ الله جَنَّاتِكَ إلى القَبْرِ !
أَتَيْنَاكَ لَكِي تَحْمِلَ عَنَّا ثِقَلَ السُّوزِ
وكي تُسَبِّلَ يا قَطْبُ عَلَيْنَا ضَافِيَ السَّيْرِ
وفي الأنفُسِ حاجاتٌ بهَا يا سيِّدِي تَدْرِي !
أَتَيْنَاكَ لَكِي تُقْضَى وَلِحْظِي مِنْكَ بالسَّيْرِ

* * *

ولما وصلوا القبة داروا دَوْرَةَ الحُمْرِ
وأهْوَتْ راحُ ذاك الجمِّعِ في التابوتِ بالنقرِ

فلا تسمع إلا ما يصيب السمع بالوقر
 هناك الناس غير الناس في الإخبات والذكر
 فهذا خاضع شاك وهذا دمعته يجري
 وهذا ينشج النشجة تستعصي على الصلر
 وهذا يرعد الرعد في أعضائه تسري
 وهذا ينذر النذر وهذا جاء بالنذر
 وهذا صائح : يا سيدي عطفًا على فقري
 على عجزتي وإهمالي على ضعفي على ضري
 وقد جُللت القبة بالزينة والسير
 ويضات من البلو رُغْلَقْنَ على الجُذر
 فمن حُمر إلى صُفر إلى زُرْق إلى خُضر
 ومصباح كبير الضوء مثل الكوكب الدرّي
 وللتأبوت معنى ميسر جلال العتق والقدّر^(١)
 قد اسودَّ من التقييل في مختلف العُصبر
 عليه ضيَبُ الفِضْة في أسود كالحرير
 فبُلو كُتغور الزنَج إذ تضحك من أمر
 فَنَمَّ الضم والتقييل لبالثغر وبالنحر
 تلاقى فيه دَمْعَا الشا ب والجارية البكر

* * *

(١) العتق : القدم .

ولما سكن الجمعُ سكونَ الموج في البحر
تراءى الناس شيخاً ذا شقاشقَ فيهم هُندِر
ينادي : أيها الناس اهـ نأوا بالفوز والنصر
بهذي النعمة العظمى ببل الفضل والفخر
قصدم باب ذى عطفي وذى جود وذى بر
وإن الشيخ لا يثركُ من زار بلا أجر !
عليكم بخلوص القصص سد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب ب والخدمة والصبر
وإياكم وسوء الظن من بالصوفية الغر
فأهلُ الله هم . جازوا مناطَ النهي والأمر
ملوكُ لهم التصريح ف في السر وفي البحر

* * *

سمعنا أن في (حدري) تباشيرَ من الكُفر^(١)
تصديّ ناشئ غر بلاه الله من غر
يُرَبّي الشَّعر كالْفُسَّا ق إذ يُعَنِّوْنَ بالشَّعر
تلقى من فنون العِلْم هم ما زاد على القلْب
فـأغواه وأرداه وجاء النفع بالضّر
ومن شيقوته استحلى حميمَ الأدب المزري
جريء القلب لا يعب أ بالتهديد والزجر

(١) تطلق حدري على ما سفّل من حضرموت كشبام وسيون وتريم . وعلوي
على ما علا منها كدوعن وعمد ووادي العين .

- ٣٨ -

يُث السَّم فِي الْجَاهِ ——— ل وَالْعَلَامَةُ الْحَبْرُ
يَسِيءُ الظَّنَّ بِالْأَقْطَا ب أَهْلَ الْمَدِّ السَّرِّي !
لَهُ أَتْبَاعُ سَوْءٍ كُلِّ ——— هُمْ يَدْعُو إِلَى الشَّرِّ

* * *

هَنَاقَمْتُ وَقَدْ ضَاقَ بِي الْوَاسِعُ مِنْ صَدْرِي
وَمَا بَالِيَتْ بِالْغَوْغَا ء فِي عَسْكَرِهَا الْمَجْر
وَقُلْتُ اسْكُتْ عَجُوزُ السُّو ء يَا ذَا عِيَةِ النُّكْرِ !
عُدُّو اللَّهَ وَالْإِصْلَا ح ! هَلْ تَهْذِي وَلَا تَدْرِي ؟
أَتَدْعُو النَّاسَ لِلنُّكْرِ وَتَهْجُو دَاعِيَّ الْخَيْرِ
فَصَاحَ الشَّيْخُ : غَوْلُوهُ فَذَا مِنْ شَيْعَةِ الْغُرِّ
فَلَوْلَا أَنْ تَسَلَّلْتُ مِنْ الْجُمْهُورِ بِالْفُرِّ
لَكَانُوا أَعْدَمُونِي مَهْ جِئْتُ بِالضَّرْبِ وَالنَّفْرِ^(١)

همام : (يَضْحَكُ وَيَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَيَضْرِبُ عَلَى كَتِفِهِ)

حَمَاكَ اللَّهُ مِنْ سَوْءٍ وَقَاكَ اللَّهُ مِنْ شَرِّ
لَقَدْ قَمْتُ مَقَامًا لَا يُوَازِي عُظْمَهُ شُكْرِي
وَلَا بَدَلُ لَذِي الْإِصْلَا ح مِنْ عِزِّهِ وَمِنْ صَبْرِ

* * *

(١) الدفر : الدفع في الصدر .

المشهد الثاني

« في دار (حسن) في الطابق الثاني . غرفة كبيرة مفروشة
بمختلف السجاجيد الثمينة ، مكسوة جوانبها التي تلي الجدار
بالمفارش الجميلة عليها الوسائد والمياثر الناعمة .

علوية : (داخلة الغرفة)

أيها الربع سلامٌ عيِّكم !

خديجة : (ناهضة لاستقبالها)

وعليكم ألف ألف سلام !

مرحباً أهلاً بشخص كريم مرحباً بابنة قوم كرام

(تتصافحان فتجلسان)

علوية : يا صباح الخير !

خديجة : هذا صباح بك طَلَقُ ثَغْرُهُ في ابتسام

علوية : كيف حال الربع ؟

خديجة : في خير عيش نسأل الرحمن حُسْنَ الدوام

علوية : أين حُسْنٌ ؟ إن شوقي لحسن مثل ما اشتاقَ إلى الماء ظامي !

خديجة : هي في غرفتها

علوية : إئذني أن أراها ..

خديجة : هي ذات احتشام

تستحي من زائرنا

(تقبل الخادم بعدة الشاي)

- ٤٠ -

علوية : وماذا ؟
 خديجة : قصدنا الأنس وطيبُ الندام
 علوية : قَسَمًا أَشْرَبُ إِلَّا إِذَا مَا نَشَرْتُ حُسْنَ بَسَاطِ الْمَدَام
 خديجة : (مهتسمة)
 أُنَجِّدِينَ احْتِيَالًا كَهَذَا ؟
 علوية : إِنَّمَا أُمَلِّى احْتِيَالِي هِيَامِي

(تقوم خديجة ثم تقبل وتقبل وراءها حنن ثمشي على استحياء)
 علوية : (قائمة)
 مرحبًا بالبلان يهتزلينا ا مرحبًا بالبدرد بدر التمام ا
 (تدنو فتقبل حسنا على خدها فتقبلها حسن على رأسها
 وتجلس إلى عدة الشاي)
 يؤه ا ما أجملها من فتاة يؤه ا ما أصلحها لهمام ا
 صلوات الله تغمر طه وحماها الله من عين رام
 (يخفق قلب حسن ويتصاعد الدم إلى وجنتيها فيتوردان
 وتطرق حياء وتتشاغل بإصلاح الشاي)
 خديجة : (في تجاهل واستغراب)
 من همام ؟

علوية : تسأليني عنه ؟ ليس يخفى البدر بين الأنام ا
 ذلك المصلح زين شـ باب القطر ذو الهمة والإعترام
 ذلك الحالي بكل جميل ذلك العاقل من كل ذام
 ذلك المشهور في كل قطر بمزاياه الكبار العظام

والذي سارت بحسن قوافيه - إلى مصر وأقصى الشام
(تلاحظ ارتياب خديجة فيما إذا كانت هي رسولاً من همام وسفيراً له)

لا تظنني رسول همام أنا لا أعرف شخص همام
إنما أسف أن كرمنا مثله يمني بقوم لمام
هو يسقيهم كوس حياة وهم يسقونه كأس سام^(١)
خديجة : ما تقولين ؟ أليس همام حاد عن نور الهدى للظلام ؟
ودعا الناس إلى أن يقولوا فيه ما قد زوروا من كلام
علوية : ما استطاعوا أن يزئوا إلا بالذي يُعليه أسمى مقام
خديجة : إن قلبي ليوذ هماماً ورضى بنبي أقصى مرامي !
(تلاحظ علوية من كلام خديجة أنها مقتنعة بحب حسن لمام)

فتقاطع حديثها وتلفت إلى حسن قائلة :

أتحين هماماً :

حسن : (في تلثم وخجل)

ومن لا يعد .. شق الحر الحسيب العصامي
فرع الناس بعلم وخلق وجهاد في الهدى واعتزام !
خديجة (عائدة لتمة حديثها)

غير أنني لا أطيق كلام النـاس في زوج ابني بالملام
فلزوج البنت عندي محل في السويداء من القلب نام
خبريني كيف أذفع عنه حين يرمى بالفقرى وأحامي
ليته خلى زمام الورى فيهم ، فما كان برب الزمام
فيهم يهتهم بأمر سواه وهو لما يعد سن الغلام ؟

لو تملّى بليالي صباهُ
لو تخلّى عن شؤون البرايا
فمضت في غبطة وسلام !
وتولّى شأنه باهتمام !
وتعامى عنهم !

علوية : هو يخشى
فالذي يكم علم الهدى يُك
إنما ضرّ البرايا تعامى
ييصرون النور وهو مضى
ويرون الناس في ليل جهل
يتراءمون على كل قبر
ويرون المنكرات عظاماً
ويقولون : لنا بالآلى قد
أنرى نعزو إليهم ضللاً
مثل هذا عذرهم وهو عذر
غضب الله لهذا التعامى
جَم من نار لظى بلجام
هؤلاء العلماء الضخام
فيلوذون بسبر الظلام !
يتدجى أفضقه بالقتام
ومصاب الدين في ذا الترامى
فتراهم عندها كالعظام
غبروا من قبل حسن ائتمام
وهم أمثلة الاعتصام ؟
سوف لا يقبل يوم القيام !

* * *

فخلّق بفتى كهمام
إذ يرى موطنه في المخطاط
ويرى أمته في انقسام
دب فيها داء جهل وخلف
فأنرى ينعشهم من حمول
ومضى يوقظهم من منام !

خديجة : فهبني قد رضيت ، فمن لي
بشهاب وهو صعب الزمام ؟
وهو لا ينفي ويثبت أمراً
بسوى رأي (الوليّ) الإمام !

جاءه من قبل عشرين يوماً
ورجا تزويج حُسن (لبكر)
قال : إن المصطفى يتأذى
وأولو البرزخ سوف يغيرو
فنهاه عن قبول همام
فيه اليمن وحسن الوئام
من همام ، قلبه منه دام
ن عليه عاجلاً بانتقام
(في غضب) :

علوية

ذلك الدجال لا ريب فيه
قد رشاه بالريالات بكر
أفواد المصطفى غير راض
وأولو البرزخ كيف يغيرو
أولي الله عبد الخطام ؟؟
والرشي للقطب غير حرام
عن غيور عن هداه يحامي ؟؟
ن على حي وهم في الرجاء ؟؟
معشر ماتوا وصاروا إلى النيب
تُرّهات جعلوها من الديب
ن ، تعالى ديننا المتسامي !

* * *

المشهد الثالث

(علوية تزور زهراء في بيتها)

: صديقتي ! إنني لمشتاقة إليك

علوية

: واشوقي للقياك !

زهراء

(تتعانقان بلهف)

أهلاً بمأتاك ، وشكراً لذكرك
أراك فقد جرّتك ذكراك

: عندي بشرى لكم

علوية

: بشري
علّ المنى في طي بشراك

زهراء

علوية : أين همام ؟
 زهراء : أهى بشرى له ؟ هاتى أطال الله عيالك !
 علوية : ييكى لها الباكي ؟ ألا ويجه ويح لذاك الأسد الشاكي !
 زهراء : هاتى أبينى : ما الذى جئنا به ؟ رعاك الله مولاك
 علوية : لعل أن تفشأ عنه الأسى عيناك ، ما أبرك بمنالك !
 زهراء : خديجة لئنت من قلبها على همام
 علوية : كيف وأين ومتى ؟ هل جرى ذاك ؟
 علوية : زُرْتُهَا أمس وهالك ما جرى هالك

« نقص عليها حديث أمس كله مما جرى بينها وبين خديجة وحسن .

تستأذن زهراء لتبشر هماما . تنطلق إلى غرفته وتعود بعد حين إلى علوية » .

زهراء : بشرته فأنهملت عينه من فرح ما كان لولاك
 علوية : وقام من مضجعه ناهضاً يشكر حق الشكر مسعاك
 زهراء : لم آت ما أشكر من أجله !
 علوية : يمثل ذا اللطف عرفناك
 زهراء : إن همما قانع في الهوى بكذبة من فم أفاك !
 علوية : ويأخذ اللفظة فالأله من قصة يوردها حاك !
 زهراء : وقد يرى الحليم فيعندّه نور رجاء وسط أحلاك

فكيف لا ييكي سروراً وقد جاءته بشرى مثل بشراك ؟
أما شهابٌ فله خِلَّةٌ محمد ذو الخلق الزاكي
لازتما عون أخى دائماً والله يرعاه ويرعاك !

* * *

المشهد الرابع

« سالم في بيت السيد (ولي الله) لتحقيق المهمة التي كلفه
محمد إياها . يدخل على ولي الله في غرفة فخمة مزودة بكل ما
يستطاع الحصول عليه من الفرش الثمينة والمتاع النفيس . يجده
مستنداً إلى جبهة من الوسائد ماذا رجله لرجل عنده يكسهما » .

سالم	: سيدي يا صاحب السر العظيم	يا ولي الله يا غوث العديم
	متع الله بمحياك الوري	إنما وجهك مصباح العتيم
الولي	: مرحباً بالخادم البر الذي	خصه الرحمن بالقلب السليم
	حسن الظن بأهل السريا	خادمي تحظ بجنات النعيم
	آه - لو يعرفني هذا الوري	لأتوني من قصيات التخوم
	أنا جيلاني هذا العصر ، قد	وطئت رجلاي أعناق النجوم
	نحضت بحراً وقف الخلق على	ساحليه في دهور ووجوم -
	من رأيي أو رأي من رأيي	فهو محظور على نار الجحيم
	أهل هذا القطر ما دمت به	في رخاء وهناء مستديم
	يولد الطفل على عيني ، كما	يرحل الراحل أو يغني المقيم
	أسعد الناس بنا أحسنهم	نية فينا فذاك المستقيم

وأشدُّ الناس خسرًا من بنا : ساء ظنًا فهو شيطان رجيم !
 ذاك في نار لظى مهما يكن : كامل التقوى يصلي ويصوم !
 ولقد قام أخيرًا ناشئًا : صرفته عن رضى الله العلوم
 رام إسقاط مقام الأوليا : جاهدًا ينفث في الناس السموم
 زاعمًا أنَّ الورى في ضلَّة : وهو يمشي وحده النهج القويم
 هكذا من كان لا شيخ له : من أولى الباطن في الغي يهيم !!
 : سيدي علَّ همامًا قصدكم : ذلك المفتون بالرأي السقيم
 : نحن لم نعن سواه
 : أنسابي : في علاج الناس أسلوب حكيم
 : زبما استطعتم به إن شئتم : أن تردوه عن الغيِّ الذميم
 : أنت لا تستطيع أن ترجعه : للهدى أو تحيي العظم الرميم
 : إنَّ هذا محال !
 : أنني : بالذي يُغري همامًا لعليم !
 : أنني أعرف مثوى ضعفه : فسأرميه ببلي في الصميم
 : إنه يهوى فتاة لشها : برَّ هوى قيس لليلي في القديم
 : هو في غير الهوى ضرغامة : وهو في الحب ضعيفٌ كالظليم
 : وشهابٌ خاتمٌ في كفكم : ليس يعصى لكم الأمر الكريم
 : لو سعيتم لهما عنده : فضمنَّا لكم أن يستقيم !
 : (في غضب وهياج)
 : ليت شعري كيف أفضي حاجة : لفتى نغص من عيشي النعيم ؟
 : كبه الله على منخره : وسقاها الله في النار الحميم !
 : كم عناني أمره من ماردٍ : ولكم عذب قلبي بالهموم !

سالم

الولي

سالم

الولي

سالم

الولي

والذي نفسي فى قبضته وبه السَّبعُ السماوات تقوم !
نحن لولا أنَّ فى غضبتنا حِطَّةٌ من رتبة (القطب) الحليم
لضربنا ضربةً تنسِفُه وتركناه كمنذروِّ الهشيم
وأصابتْ بيته نائبةٌ تذهل المرضع عن رعي الفطيم
: إنَّما نقضي على أنفاسه إن جعلناه إليكم يستنيم
' إنَّ هذا هوَ الرأي الذي يحفظ الناس من الداء الوخيم
: أتراه يرعوي عن غيِّه إن أعناه على نيل المروم ؟
: ذاك ما لا شكَّ فيه ، وأنا لكم بالكفِّ عن ذاك زعيم
: خادمي ! رأيك هذا صائب فهمام خطرٌ فينا عظيم !
غير أنَّ الأمر قد فات ولم يبق في الرأي مجال للحكيم
قد خطبناها (لبكر) قبله وحبانا منه بالمال الجموم
فرميناه (بصندوق القرى) لغريب أو فقير أو يتيم !
(يسكت قليلاً ثم يقول)

كم همائم دافع من ماله ؟

: ضعف بكرأيها المولي الكريم
: ذا إذا ألف ريال ! هاته قم ! وثق أنا سنقضي ما يروم
: إن بكراً ذو غنى ، لكنه يابس الكفِّ شحيح ولثيم !
سيرى عاقبة البخل غداً عندما يُخطِطه الوجه الوسيم !

(يستأذن سالم بالانصراف فينصرف . يعود إلى بيت ولي الله

من الغد)

- ٤٨ -

سالم : قد فعلنا كلَّ شيءٍ وظفّرنا بهممام
وارتضى ما قد شرطنا ه عليه بالتزام
وهو مسرورٌ بهذا شاكر سعي الإمام
تاركٌ دعوتَه النَّكْـراء من أجل الغرام

الولي أخذ أن ليس يؤذيكم بفعلٍ أو كلام

سالم : أينَ ما أعطاك ؟ هل أقـبلتَ بالمال الزمام ؟!

الولي : هاك تحويلاً إلى « جا وَا » بألف بالتّممام
(يمد يده للتسلم)

هاته ليس لِحَيِّـي بل لصندوق المقام !!

* * *

المشهد الخامس

بين ولي الله وشهاب :

الولي : جاعني الليلة آت في المنام صائحا يهتف حسنُ همام

شهاب : إنه بكرة فسدت نيتَه في توليها بحب واحترام

الولي : إنه يا سيدي مبتدع

شهاب : إنه قد تاب عن هذا الإثم

الولي : (في استغراب) ومتى تاب ؟

الولي : أتاني نادماً أمس مما بث في الناس السمام

شهاب : إذ دعونا الله أن يهديه سمح الله بإدراك المرام

الولي : (في خضوع وتسليم)

ليكن ما شئتم يا سيدي نحن نرضي رأي مولانا الإمام

* * *

المشهد السادس

بين زهراء وخديجة :

زهراء	: صديقتي ! إن قلبي	مما فعلتكم لموجع
	أشتاقكم غير أنني	من وصلكم أتمنع
	فإن جرحي منكم	فيه الأسا ^(١) ليس ينفع
	ولو أطعت صوابي	ما جتكم أتسكع
خديجة	: زهراء : لا بأس بالعتد	ب فهو للودّ أجمع
	ما ساء قلبك مني ؟	قولي لعلّي أرجع !
	فرمما حبيب واش	فينا إلى الدحس يهرع ^(٢)
	وذا زمان لئيم	فيه المودات تقطع
زهراء	: إن همأما شقيقي	له بقلبي موضع
	فنيلكم منه نيل	مني بغير تورع
خديجة	: زهراء ! أسرفت في تهـ	ممي ، فبعض التسرع
	فما ذكرت همأما	إلا بما عنه يسمع
	من الخروج على النـ	اس في تقاليد تبـ
	قصصت ذاك لعصماء	من بنات المشفع
	لأنهـا لهمـام	رأيتها تتشفع
	قامت تدافع عنه	بجحج ليس تدفع

(١) الأسا : مصدر أساه يأسوه داواه أي لا تنفع المداواة فيه .

(٢) الدحس : إفساد المودة بين الصديقين .

وإن قلبي ليهوى
إذن فماذا التلأئي
إلا رحمتهم فتى من
تكاد أحشاؤه من
: إن الإبا من شهاب
لأن رأي شهاب
: (في غضب)
زهراء

القطبُ لص عن
يشرى ويتاع « حُسْ
كانها سلعة في
ألم يبعها « لبكر » ذا
كان سود الدياجي
ثم أرتجي من همام
ورعا باعها في
والناس ظنوا أباكم
إن الولي عن سوء
أبوكم ليس يدري
ولو درى لتبراً
: (وهي تنالم) :
خديجة

أقد تحدث عنا
يا ويلناه ! أنؤتي
إننا أناس على عز
بذاك في كل جماع
من حيث لا تتوقع ؟
نا نحامي وندفع

أعراضنا هي أغلى ما في الحياة وأمنع
لو كان يدري شهابٌ لما تهناً بمضجع
وسوف يدري عسى عن هذا المدجل يُقلع
(تنهد وتستعبر)

يا ليت (سعدًا) لدينا في أمرنا اليوم يقطع
لما ألانا اجتهدًا في أخذ ما هو أنفع
لكنه غاب عنا تسع سنين وأربع
في أرض (جاوا) التي تأكل الرجال وتبلع
راح ليجمع مالا لنا به نتمتع
يا بئس ما جمعت كفو ما هو يجمع !!
ماذا يفيد الغني من يخسر أهلاً ومربع
تزوجت « مزفة » عُرَّ سها به لم يمتنع
تُسال : أين أبوها ؟ فلا تجيب ، وتدمع
وهذه أختها أو شـ كت تزف وتخلع
فواشـقاء حياة فيها الفواد موزع

المشهد السابع

(بين سالم وشهاب) :

سالم : مالي أراك كئيباً ؟
فما أصابك ؟ قل لي

شهاب :

إنني بخطيئتي مُصابٌ !

بذاك الذي كان يدعي

بذكُوره ويُجِيبُ

وَمَنْ بَغَرْتَهُ كَانَ

يُسْتَدْرُ السَّحَابُ !

من كنت أبصرُ أخطأ

عَهْ وَهُنَّ صَوَابُ

قام يُلوِّثُ عرضي

بما به النَّاسُ عَابُوا

فَقِيلَ إِنِّي طُمُوعٌ

لِوَلَا الْمَدَجُّ لُ هَذَا

لِلَّهِ دُرُّ هُمَامٍ

إِذْ قَالَ : أَمْثَالُ هَذَا

وَأَنْمَسَا سَرَّتْهُمْ

عَنِ الْعَيُونِ التِّيَابُ !

فَمَا نَرَاهُ شَرَابًا

مَا هُوَ إِلَّا سَرَابُ

أَنَا الَّذِي سَلَّمْتَهُ

مَالِ هُمَامٍ يَبْدِي

فَلَا تَكُنْ مِنْ أَمْرِهِ

فِي شَكٍّ أَوْ تَرَدُّدٍ

إِنْ هُمَا تَالِ لَلْعَصَا

مِي الْكَرِيمِ الْمُخْتَدِ

مَهْمَا يَقْلُ فَإِنَّهُ

زَيْنُ شَبَابِ الْبَلَدِ

رَأَاكَ لَا تَصْغِي إِلَى

غَيْرِ كَلَامِ (السَّيِّدِ)

- ٥٤ -

ولم يجسد إلا وليّ الله خير مسعد
 فلم يدع رأي صديق قه الفتى « محمد »
 ولم يكن ذاك الذي يهدي السرى بمهد
 مدّ إلى الدرهم جيم مدّ ذلّة في صيد !!
 وكان ما كان فلا تغضب ولا تفند
 أنت عليك الغرم والغم لرب المدد !
 هذا جزا تارك رأي به لرأي أحد !!

* * *

المشهد الثامن

(بين شهاب وبكر) :

بكر : يا عم ما الذي جرى ؟ ردّت مني اليدا
 شهاب : ألسنت قد قبلتني فماعد ممابدا ؟
 (يتجلد ويخفي غضبه)
 بكر : حظك يا بكر - الذي حلا عنك البوردا
 شهاب : فاطلب سواها تلك - قهن كالرمال عدا
 بكر : (في وقاحة)
 شهاب : وأين أموال السبي أنفقت فيها بددا ؟
 بكر : لمن دفعتهما ؟
 شهاب : (في سخريّة) لاننا الولي المفتدى !

- ٥٥ -

إذن فخذها منه لا تطلب سواه أحدا
بكر : (معرضاً)

أعطيته لأنه كان لكم معتمدا
شهاب : (في غضب)

خسئت يا نذل فقم وخلّ عنك اللدا !
أليس فينا حاكمٌ يحكم هذي البلدا ؟
فاشكُ إليه من على مالك - إن شئت - اعنى !
بكر : (في تضعضع وخجل)

إذن ... فمالي كُلّه

.. أكله .. وازدردا ..
إذن ... فلم يعطك من مالي ... شيئا أبدا .. !
أما اكتفى بما ارتشاه نصف ألف عدا ؟
يا ويلتا ! واحسرتا ! واحزننا .. ! واكمدا !
لأرفعنَّ أمره إلى الأمير «أجدا»
أفضحه عند الورى .. !

شهاب : (وقد سرى عنه)

الآن أبصرت الهدى !

بكر : (يتنهّد)

فليمض مالي لظهو ر سيعاته فيدي !!

* * *

المشهد التاسع

(همام في مجلس الأمير « أمجد » وقد دعاه إليه) :

الأمير : أتدري يا همام لأيّ أمر دعوتك لي ؟
 همام : خير يا أميري ؟
 الأمير : ألم تعلم بما اجترمته كفا ولي الله من إثم كبير ؟
 همام : بلى هذا حديث قد فشا في حمانا في الكبير وفي الصغير
 الأمير : فماذا أنت يا سندي مشير به في مثل ذا الأمر الخطير ؟
 همام : أرى أن تحبسوا الجاني وأن لا

تمسّوه بسوء أو نكير
 فمطلق حبسه كاف - أراه - لردع سواه من أهل الشرور
 الأمير : ولكن والدي يخشى علينا - إذا عاقبته - سوء المصير
 يُحاذِر دعوةً منه علينا فتلحقنا بأصحاب القبور
 همام : أمير ما عهدتك غير حرّ طليق الفكر متقد الشعور
 وحسبك ما قرأت عليك طردًا

لأوهام توسوس في الصُّدُور
 أتعرفُ إثمهُ وتخاف منه ؟

أنتقبل دعوة العاصي الكفور ؟؟
 كذاك الوهم تُشربه نفوس فتشهد ما تُخيّل من أمور
 وقل لأبيك ذا بكرٍ شكاه وهتك ما عليه من ستور
 فلو كان الولي لديه حولٌ لكان رماه بالسهم المبير

الأمير : فإن تجبسه جئت به دليلاً يسجل عجز أقطاب الغرور
فليس أذاه مقصوداً ولكن لينبطل سحره بيد الأمير !
: لقد قررت هذا الرأي قبلاً فبورك في ذكائك من مشير
وإن الدجل أبغض كل شيء على الدنيا يضيق به ضميري

* * *

المشهد العاشر

(يأتي لزيارة محمد فيستقبله محمد في غاية الحفاوة)

شهاب : محمد أنت الجريء الفؤاد وأنت صديق همام الوفي
فلو كان من ربّهِ مُرسلاً لكنت حواريه المفتفي
وتعلم ما كنت أؤذي هُما ما به غير هادٍ ولا منصف
أتابع في أمره مُفسداً يبيع ويتاع بالمصحف !
وإني على ما مضى نادم وأنت بإصلاح أمري حفي^(١)
محمد : ألا مرحباً بالسليم الفؤاد وبالظاهر السيرة الأشرف
بعتم حبيبة خير الرجال بمن لا
بمن لا يُقرُّ على المنكرات وليس يُطاطى للمعسف^(٢)
همام يُحبّك مهما فعلت به عن ولائك لا يتنفي
يراك أباه فمهما قسا عليه لتأديبه يعطيه

(٢) هو الظالم الشديد العسف .

(١) عارف ونجيب .

(يتسم شهاب وتهلل أسارير وجهه)

شهاب : فله ما كان أنقى هما ما وأشرف أخلاقه الساميه !
 أضارسه ثم ييقى ودوداً علي طوبته صافيه ؟
 محمد : بقدر نبالة أخلاقه يحب حبيته الغاليه !
 ثمادي به جها فهو لا يقر القرار له ثانيه !
 بيت يناجي نجوم السما ويخلص في يته للطعا
 فيذهله الحب عما لديه م إذا ما أجاب له داعيه !
 واني لأخشى عليه - إذا حتى لتكفي الآنيه !!
 ثمادتم - الضربة القاضيه ثمادتم - أنفاسه العاليه !
 هنالك نخسر زين الشبا ب - قضت بك مصلحة هاديه
 ويسالك الله عن مهجة -
 شهاب : (وهو يكي)

كفى يا محمد ! اني أتيت لتكفير أعمالي الخاطيه
 فلو كان ذنب همام فحسب علي لخف علي باليه
 أزوجه اليوم من حسنه فيغفر زلاتي الماضيه
 ولكنني قد عصيت الإله وعرضت نفسي للهاويه
 لقد غرني وعد ذاك الولي بمحور خطيئاتي الخاليه
 وبشرني أنه قد رأى قصوري في الجنة العاليه
 فلم أتزوّد لندار البقاء اتكالا على الزلف الواهيه
 فأيقنت ذا اليوم أن ليس ينفعني غير أعمالي الزاكيه
 وأن ليس يحو خطاياي غير النصوح من التوبه الماحيه
 نصائح كان ينادي بها همام فنرمي بها ناحيه
 فها قد بدت لجميع الأنام مخازي مدجلنا الغاويه

محمد : سلامٌ عليك دموعك هـ لذي لتطهير أدرانها كافيهِ
فلا تبتئسْ ، إن ربًّا هـذاك ليغي بك الخيرَ في الثانيهِ
« يريد شهاب النهوض فيمسكه محمد قانلا »
وأمرُ همام ؟؟

شهاب : وماذا يريد هـمـ وأم وليس لحسنٍ سواه
هي اليوم بين يديه وما مُنأي من الدهر إلا رضاه
ولكن حديث (الرشي^(١)) المس تنفيض شوش أفكار أم الفتاه
فما زال يلهج أهل الحمى بأن (الولي) همام رشاه
وأن شهابًا تسلم أموال بكر ولم يعطه مُبتغاه
فقلت نوحتر تزويج حُسن من لِنقطع ألسن هذى الوشاه
فما كان للمال إثارُنا ولكن لعلمٍ وفضل وجاه
فأوص صديقك أن يطمئن إلى الصبر حيناً ليلقي مناه

محمد : ألا ليت شعري ماذا يقو ل همام إذا رُعتهِ بالخبر ؟
أقدم باقة زهر له وأطوى له الصل بين الزهر
فلو رُحت تنصَحُها بالعدو ل عن رأيها ! عليها تأمر !
علام تبالي كلام الطغام وما ينطقون بغير الهذر ؟
وأعيان (سيوون) تدري الـ حقيق وبعد غدٍ يظهر المستر
سَيُحبس هذا الولي الشقي وتفضح سوءاته والعرر

- ٦٠ -

شهاب : لعلك تجهل أنّ النساء إذا قلن شيئاً فهن القدر
ولا يرعوين عن الرأي لو وضعت بأيمانهن القمر
فكم قد سعت وكم قد نصحت ولكن كأنني نصحت الحجر

محمد : إذن لن يطيق همام المقام هنا ،

شهاب : ليرح نفسه بالسفر
إلى الشام أو مصر أو للمهاجـ ر (جاوة) أو للبلاد الأخر
وبعد ثلاثين شهراً يعو د ، وسوف تمر كلمح البصر
هنالك تبلغ سن الزواج (حُسن) وتنضج نضج الثمر
وربما عاد (سعد) إلينا فيزهو به عُرسنا إن حضر

(ستار)

الفصل الثالث

المشهد الأول

« بين همام وزهراء » .

زهراء

: (في جزع)

أهمامُ حَبَّرَني بوَدِّك لي مالي أراك تنضَّد الكتبُ ؟
ماذا اعتزمتَ أنْتَ تاركنا للحادثات تسومنا الكربا ؟

همام

: (في حنو)

لا يا أُخِيَّة ! أجلي جزعا لا ينس قلب المؤمن الربا
سفري لطول إقامتي سببٌ ولربُّ بُعدٍ أعقب القربا
(يتغير وجهه)

إنى أخافُ إذا مكنتُ هنا أن لا أطيقَ فأقضي النجبا !
(يخالط صوته البكاء)

أيسرُ قلبك أن أموتَ أسيَّ في الرَّبعِ إذ تبكينني ندبا ؟
أو ما رأيتَ القوم قد قطعوا صوتَ الحياة وكان قد ليّ !
حفلوا بسمعتهم - كما زعموا - لكنهم لم يحفلوا الصِّبا
ليمتَ شهيدا من يشاء ولا يتوهموا في عرضهم ثلِّبا
آه ! أهذا كلُّ ما أتمنى ؟ ولقد وهبُ الروحَ والقلبا !

(يتذكر حسنا ويستحضرها كأنها ماثلة أمامه تسمع ما قاله)

فيستحي مما تكلم به في أهلها)

يا حسنُ ! معذرةً فأهلك نا لهم الملامُ وما جنوا ذنباً
حاولتُ عتبتهمُ بتوءدةٍ لكنني لم أحسن العتبا
ورضاك همي في الحياة ؛ فإن ترضى رأيتُ عذابها عذبا
وإذا غضبت غضبت في بصري فأرى الخليفة كلها غضبي !
(ينتبه من ذهوله إلى أنه بحضرة أخته الحنون)

زهراء خليتي لأرحلَ عن هذي الديار فأسلو الحبّا
فلقد لقيتُ به دواهي له رُعنَ الجبالَ تركنها تربا
هيهاتَ هيهاتَ السُّلُو ! ويا ليت السُّلُو يُباع أو يُجى
أفكلما سَفَرَ اللقاء أتى آتٍ فسُدَّ دونه الحجا !
أو كلما ابتسم الربيع لنا جرت الدبور وهبت النكبا ؟
(: آسفة على أن هيجت أخاها مشفقة عليه)

زهراء

عفواً هُمَام فليسَ قصـ لکن شجاني أن تفـ
لكن شجاني أن تفـ رقتا وتركب ظهر يـ
إنَّ البلادَ لسوفَ تَقـ قد فيك بجمّاً أيّ بجم
نجمٌ يفيض هدايةً وسناه من خلق وعـم
تبّاً لدهر دأبه يرمي أفاضله فيصمى
أيصّدُ مثلك عن مطا لبه ويُمتع كل فذم ؟
أهمام إن كنت اعتزمت على الرحيل فخير عزم
إذهب وعُدّ عما قريبـ ب بين عافيةً وغنم
سيكون ربك حافظاً لك في الفلاة وفي الخضم
ولسوف تدرك ما تؤمـ ل ما ظلمت إليه ترمي
ثقتي بحسن أن تعيد ك خففت حزنني وهمي

همام

: (في حزن وأسف)

لكنَّ حُسْنًا لم تشأ تنوير خطبي المدهم
 كم قد كتبتُ لها الرسا ثل بين مشور ونظم
 فتصدَّ عنها لا تجيب كأنها لا تعرف اسمي !!
 وطلبتُ منديلاً لها ليكون في الظلمات نجوى
 ويكون أنسي في البعا د يكفُّ من حزني وغمي
 آوي إليه إذا نزا قلبي بضم أو بئس !
 ولقد أتاني ردها لكن تعثر فيه فهمي
 وإليكِ فاتليته ثم اقضي على حُسن بحكم
 (يناولها رسالته إلى حسن وعلى ظهرها الرد منها)

الرسالة :

حبيرة قلبي علّيني بتنويع
 أقضُ زمانِي في رجاء وتأميل
 بعثتُ إليك الكتب تترى ، فلم أفر
 ببعض جوابٍ منك يا غاية السؤل
 كأنني لم أحمل هواك ، ولم يكن
 لقاءك قصدي في الحياة ومأمولي !!
 وهذي النوى قد أوشكت أن تميل بي
 إلى عالم من رقعة الأرض مجهول
 أقضِي به دهرًا قضيتهم به على
 حُشاشة صبّ عاتر الجدّ مخدول

- ٦٤ -

فجودي بما أمّلتُ منك وأجعلي
وداعاً لفتون بحُبِّك متبول
وإني لراضٍ منك يا حُسنُ بالِّفا
بقطعة ثوب أو بشقة مندِيل ،
لعلي أسطيع ابتزاداً من الجوى
بضمِّي إياه لصدري وتقبيلي ؟
همام

الرد

جوابك عندي ما تظنُّ ، فلا ترم
بكُتُبك إحراجي فإنك ذو علم
وإني فتاةٌ ليس أمري في يدي
فإن شئتَ فاطلب ما تؤمِّل من أمي
حُسن

زهراء : (تلتفت إلى همام والكتاب لا يزال في يدها)

همام أمّا جوابُ حُسنٍ	فإنه أبلغُ الجواب
دلّ على الحبِّ والتفاني	فيك إلى عِفّة الجناب
وإنها إن تحبَّ يوماً	ففي حمى الصّون والحجاب
إن كتاباً يأتيك منها	رسولُ أمالك العذاب
ما تبتغي أنت فوق هذا	يأتيك من غادة كعاب ؟
لولا هوّى صادقٌ لديها	لم تر منها نصف كتاب
وسوف آتيك بالذي رُم	تّه فلا تبق في اكتاب

المشهد الثاني

(همام على حمارة في طريقه إلى الساحل (المكلا) بعد
أن شيعه إخوانه وأصدقائه . أمامه دليله البدرى عامر يقود
جملا له يحمل زادهما)

همام	: رويدًا رويدًا حِمَار البعادِ ولم يكْ خطوُكَ فوق الترى أراك كنتعشٍ بجسمي يسيرُ فيا بعد (سَيُوون) عني؟ ويا عليها السلام سلامُ الودا سلام على حسن بين العذارى سلام على دارها في الديار سلام على أهلها الطيبين سلام على وطنٍ طاهر سلام سلام على ساعدي الـ سلام على خيرة الأصدقا سلام على لطف زهراء إذ	فإنك تبعُدُ بي عن حبيبي ! ولكنه فوق قلبي الكيب ! ولكن إلى غير قير قريب !! ذُنُوكِ (جاوة) من ذي السُّهوب ! ع، سلامُ البكاء ، سلامُ النحيب سلام على قلبها في القلوب ! سلام على دربها في الدروب ؟ من كلِّ برٍّ كريمٍ نجيب تضوُّع منها بمسكٍ وطيب أشدُّ وصنوى المطيع الأديب ء محمدٍ الأملعي الأريب تفرِّج همي ، وإذ تعني بي !
------	--	--

(همام في بلاد الأحقاف)

(يخرج المنديل من جيبه فيضمه إليه ويقبله)

أتعلم يا منديل أنك مؤنسي وأنك عندي للكرم المحبب
وما ضرر من ينأى - وأنت بكفه أنيس نواه - أنه يتغرّب

(يمر على آثار مزارع قديمة مندرسة يتمهل في السير قليلا

يتأمل في تلك الآثار) .

انظر إلى هذي السهول فقد كانت جنانا لا فجاء بها
كانت جنانا لا فجاء بها من عدوة الوادي القصي إلى الـ
عمر الجذوذ بها مواطنهم ما بعد عام الألف ما قدّمت
لما تحفّ بها مواطىء أقف البر والسمراء ، والذرة الـ
والنخل والأعناب حافلة والسدر يفرش في الفضا بسطا
فهناك النعماء تخطر ما لله عيشهم فلا كدر
دع عهدا العادي من قديم إذ كانت الأنهار جارسة
كانت مزارع ما لها حد - غير الممر لراكب - تبدو^(١)
أهضام من حذراه تمتد فغنوا وعيشهم بها رغد
منه العهود وما بها بُعْدُ لدام الألى اشتغلوا بها بعد
بيضاء والأفواه والرنذ ! بقطوفهن كأنها شهد !
من سننسي خضرا فينسد بين الحقول يزينها البرد
يعتاق صفوهم ولا جهد فلقد تقادم ذلك العهد
تحت الجنان كأنها الخلد !

(١) الفجاء جميع فجوة . ورد في الرحلة المتوكلية وصف حضرموت على عهده حوالي سنة ١٠٦٠ أنها كانت بساتين ممتدة من حضرموت إلى المسفلة لا فجوة بها خالية من الأشجار والزررع إلا مقدار ما يمر الراكب .

- ٦٧ -

تلك الحقائق لا يُصدقها	قوم عيون قلوبهم رمد
تلكم بقاباها تذلل على	ما كان - سدّ دونه سد !
يحتاز ماء القطر يقسمه	بين الأراضى حكمها القصد
فتمت مزارعها فما قُتّت	فيها الغيوت تروح أو تغدو
هي سنة الباري فما كثر الـ	أشجار فالأمطار تشتد

* * *

قف سائل الآثار كيف ذوت	تلك الخمائل فهي ذي جُرد
تحريك إن نطقّت : ورثتما	نطق الجماد وقوله الرشد
في بطن أرضٍ أنت واطئها	هم تصول فليس ترتد
تصبو إلى العمل المفيد ترى	أن السعادة ركنها الجِدُّ
فتلاهم خلف كأنهم	لا ساعد لهم ولا زند !
فَسَبِيلُنَا ترديدنا أبداً :	نعم الجلود وبمست الولد !!

* * *

(همام في بلاد الأحقاف)

المشهد الثالث

في منتصف الطريق على مقربة من الريدة (بلاد البدو)
(همام يلتفت - وقد كادت الشمس تغرب - إلى بدوية عامر)

همام : سر يا أخا البدو وحثّ جملك لا يُظلم الليلُ ويشتدّ الحلك
ونحنُ لمّا نأت بعد منزلك أبلغك الله بخير مأمك
ولا أصاب الحبُّ يوماً مقتلك

عامر : هُمَام يَا خَيْر سِرَاةِ الْعُرْبِ لَا تَذْكُرِ الْحَبَّ لِعَانِ صَبٍّ
مَتَى دَعَا دَاعِيَ الْهَوَى يُلَبِّ إِنْني أَحْسُ ضَرْمًا فِي الْقَلْبِ
يُدْفَعُ فِي صَدْرِي وَيَكْوِي جَنِي ۱۱

همام : بالله هل تُعرف معنى الحب؟ وما به من فرح وكرب
 وهل سَعِدْتُ مرةً بالقرب أم أنت مثلي مستطار اللبّ
 لَمَّا يُفْزَ من حوضه بشرب

عامر : أَنْتَ إِذْنِ يَا صَاحِبِي سَعِيدٌ وَإِنِّي وَحْدِي أَنَا الْمَعْمُودُ
 مِنْ بَعْدِ مَا طَابَ لِي الْوَرُودُ خَلَانِي عَنْ حَوَظِهَا الصُّدُودِ
 فَلَيْسَ لِي صَاحِبٌ وَلَا مَجْلُودُ

همام : أَنْتَ السَّعِيدُ وَأَنَا الْمُنْكَوْدُ فَالْوَصْلُ مِمَّا قَلَّ فَهُوَ عَيْدٌ
تُشْفَى بِهِ مِنْ دَائِهَا الْكُبُودُ لَكِنْ هَجَرِي الْأَبَدُ الْأَيْدُ

- ٦٩ -

عامر : لَيْتَ الزَّمانَ لي بِهِ يَجُودُ وَبعْدَهُ تَطوِينِ اللَّحودُ !!
يَظْهَرُ لي مِنْ بَعْضِ ما أَرَاكَ أَنَّكَ تَهوَاهَا كَمَا تَهوَاكَ
يا لَيْتَ حَظِّي مِنْ وَجُودِي ذَاكَ إِذْنِ لَكُنْتُ حَامِداً مَوْلاكَ
وما شَكُوتُ مِثْلَ مُشْتَكَاكَ

همام : عامر مِمَّا زادَنِي ارْتِباكاً أَنَا اشْتَرَكنا فِي الهوى اشْتَرَاكَ
أَشْكُو نَوَاهَا وَهي تَشْكُو ذَاكَ فَيَسْتَهْلُ مَدْمَعِي اشْتِباكاً
لِما بَلَّاهَا وبَلَّأَ أَخَاكَ

عامر : (فِي حَزْنٍ)
لا تَحْسَبَنَّ هَجْرَها هَجْرَ شَرَفٍ لِفِرطِ غَنجٍ أو دِلالٍ أو ظَرْفٍ
لَكِنَّهُ أَشْنَعُ ذَنْبٍ يُقَرِّفُ تَتْرَكُنِي زَوْجاً إلى غَيْرِي تَرْفٍ
وَصَلِّكَ عَقْدِها مَعِي لِمَا يَجِفُّ

همام : رَبَّاهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ذُو شَغَفٍ يُسَلِّمُهُ الحُبُّ إلى مَهْوَى التَّلَفِّ
رَحْمَاكَ بِالْعِشاقِ مِنْ حُورِ الهَيْفِ ما غَارَ مِنْ غُورٍ وَلَمْ يَعلِ شَرْفٍ
إِلا وَفِيهِ مَغْرَمَ القَلْبِ دَرْفُ

* * *

المشهد الرابع

(يصلان إلى حي عامر في الريدة (بلاد البدو) . يذهب
عامر لسقي جملة وإراحته ويسلم هماما لأخته ناهية)

ناهية

: (منتقبة لا يرى منها إلا عيناها)

أهلاً بمن وافى دار أخى عامر
إنزل على الرحب في المنزل العامر
وأمر عما شئت فإنك الأمر
(تهى أدوات القهوة وتباشر إصلاحها)

همام

: بورك يا أخت فيك وفي عامر
سرىتما عني بليلي الثائر
سماحة البادي يجهلها الحاضر

ناهية

: (منادية)

هلم يا سغدى هلم يا لبنى !
لنم حيين ضيف أضيكتنا

(تدخل فتاتان جميلتان متلصقتان وتصافحان هماما . ينظر
إلى إحدهما همام نظرة كالسهم . تلاحظ ناهية ذلك) .

ناهية

: (لهمام)

إنى أرى عينيك عيني شاعر قل ما تشاء ويك لا تحاذر
لا بأس عندنا بلحظ الناظر إننا نرى العفة في الضمائر

- ٧١ -

همام : رأيت بـدراً نصفه في السحب والنصف مبين
هي عليها يا نسيم واكشفني ذاك الجبين !

(تضحك الفتيات وتقهقه ناهية)

ناهية : لو أزاحت لثامها لك ما أنت فاعل ؟
ولو انجابت السحائب ما أنت قائل ؟

همام : سأريها الغزال لو أن بـدراً يغـازل
وسـتروي روائعي في هواها القـبائل

ناهية : همائم ! ما البدويـا ت عند غيد المدائن ؟
الموقرات من التبر حاليـات المحاسـن
كأنمـا أنتـ بالبـد و ساخر أو مداهن !!

همام : لا والذي فلق الحـب ، سره فيه كامن
لفي المهي البدويـا ت معجزات المحاسـن
لحـاظهن سـهام لها القلوب . كنائن
قدودهن رماح في كل قلب طواعن
جـاهن الطيـعي زاخر بالمفـاتن

- ٧٢ -

ألم تسمعي ما قال شاعر يعرب أبو الطيب السامي على كل شاعر
تخامي حسان الخضر في الشعر ناسياً بما في البوادي من مهّيّ وجاذر
ما أوجه الخضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب
(حُسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب)
(يدخل عامر)

عامر : يا مرحباً بهمام النَّدب إنزل على سعةٍ على رحب !
هل تشركوني في حديثكم فلعلكم تجلون من كربى

ناهى : ضيفك يهوى البدويات ولا يحب الحضريات

عامر : أتجيهن همام ؟ إنك شاعرٌ ماذا تعشّق في ظباء البادية ؟

همام : أهوى بساطتها وأهوى دها ولحاظها مثل السهام الماضية
وتُميلني سكرًا طوال قدودها وتشوقني منها الخلال العالیه

عامر : إن كنتَ تعشقها فخذ لُبى (مشيراً إلى لُبى)
وخذ إن شئتَ سَعْدَى (مشيراً إليها)
(مشيراً إلى ناهية) أو فخذ لك ناهية
(يضحك الجميع ويضع المجلس بالضحك)

ناهى : أما أنا فلا أحبُّ شاعراً يلفظني تمرّاً ويهواني رطب

- ٧٣ -

يُطالع الغيدَ الحِسانَ دهرَه فكلما أبصرَ حسناءَ نسب

همام : إني لأدري من طباع الغيد ما يُبين لي من قولك المشتبها
لا شيء كالشاعر أحظى عندها وإن تكن تكرهه زوجًا لها

عامر : بأيّ شيء يفضلُ الشاعر يا همام عند الغانيات من عداه ؟

همام : لقبلّة واحدة من شاعر أحلى وأشفى من ألوف من سواه
يودّعها مُهجّته فيرتوي منها الهوى . وينقع الحب صداه
يطبّعها على الجبين ذاكرًا كل خليل في الزمان وهواه !
كأنما يجمع تاريخَ الهوى بقبلّة الخدين أو لثم الشفاه

(ينتفض انتفاضة فجائية كأنما تذكر أمرًا عظيمًا . ويبقى
ساعة في ذهول)

أستغفر الحب لقد أشركتُ في عبادتِه
ماذا أقول لحبيبي خنتُه في غيبتِه ؟
أيّدعي هواه من يُخفّره في ذمتِه

* * *

كأنني بالحب يلبو نبي بسوط نِقمتِه
ألحدتُ في توحيدِه لم أخشَ من عقوبتِه
أكلما لاح جمال همت في صبابتِه ؟

- ٧٤ -

ناحية : عامر ! ما للضيف لجُ غارقًا في غشـيـته ؟
إنـي أخاف أن يصا بَ في الحمى بميتـه

عامر : دعيـه ! خـليـه ! فإني عارفٌ بمـحنتـه
سينجلي عنه الذي أصابه من سكرته

همام : (باقيا في ذهوله غير منتبه لما بين يديه مستطرذاً في حديثه)
يا حسنُ ! لا تعاقبي عبـدك في جرمـتـه
فقد أتاك تأبُّبٌ من ذنبه وهفوتـه
ما كان إلا عابداً حُسنك في قداسـته
يشهده في كل وجـه زانـخـر بفتنتـه
في طلعة البدر ، وفي الظبي وحُسن لفتـه
وفي زهور الـروض في ربيعـه ونضرتـه
وفي وجوه الغيد شيءٌ من ضياء غُرَّتـه
يختلف المحراب والـر بـوحـدانيتـه

(يدار بعامر ويغشى عليه . ترواح أخواته وتأخذن في
تنبيهه برش الماء عليه)

- ٧٥ -

- ناهيّة : عامر !
- عامر : ها !
- سعدى : عامر !
- عامر : ها !
- لبنى : عامر !
- ناهيّة : قم يا عامر !
- همام
- همام : (مفيقاً من ذهوله)
- ما ل عامر ؟ هل نـام ؟
- ناهيّة : (لنفسها) يهذي الآخر !
- (ثم لهما) أما تراه ساقطاً مغمى عليه يا همام ؟
- روعتما قلوبنا الليلة في هذا الظلام ؟
- همام : لا تخافي سوءاً على عامر إني لأدري بما يعانيه عامر
- أسمعه اسم زوجته يصـحّح من إغمائه
- ناهيّة : إنها لزوج غادر !
- همام : إن تكن غادراً فإن هواها
- ناهيّة : إنه قد سلا هواها ؛ أيها
- همام : صدّقيني بأنه ما سلاها
- ناهيّة : غصنُ ! يا غصنُ !

عامر : (يمسح جبينه)
 أين غصنٌ أ جاءت ؟ مرحبًا مرحبًا بأكرم زائر !!
 راجعيني يا منية القلب بالله فإني لما جنيت لغافر !
 (بصوت منخفض)

أو فخافي من عامر فسريدي -ك- على رغم أنفه - وابن كاسر
 (يجلس فلا يرى إلا همامًا وأخواته)
 أين غصنٌ أمت جهة المخدع ؟

ناحية : يا عامر اتبه يا عامر !!
 لم تجعنا غصن ودع عنك غصنًا إن في حينًا مئات الحرائر !

همام : (لعامر)
 عامر قم بنا نصلّ فرضنا
 (يلتفت للنسوة)

وقمن أننّ فهيئن الوضوء
 وقمن صلين جميعًا خلفنا

ناحية : ويحك هل على النساء مفترض ؟
 لا نعرف الصلاة هل تريدنا مثل الرجال للصلاة ننهض ؟
 حسب الفتاة عندنا استقامة بأن تصوم الشهر إذ ترمض

عامر : حتى الرجال بعضهم يصلي والأكثر الأكثر من تخلّى !
 وكنت فيما مرّ من أيامي أخشى من الخمس على أنعامي
 فإن غضبت مرة على جمل رميته بركتين فاحتمل !

- ٧٧ -

حتى علمتُ بعد ذاك أنه وهمٌ فأقسمت لأتركه
ومنذ ذاك ما تركت الخمسا وما رزئت بكراً أو عنسا

همام : رباه هل تبلغ دعوة النبي إلى ربي الصين وأقصى المغرب
وتخطى الدعوة أرض العرب؟؟

عامر : همام ليس الذنب للأعراب الذنب ذنب قارئ الكتاب
من ساكني الحضر ذوي الألباب إذ لم يثبوا دعوة الوهاب
في البدو أهل الجهل والغلاب وعطلوا بأوهن الأسباب
وصية النبي والأصحاب

همام : (في أسف وحزن)

شغلتهم قبابهم والقبورُ أن يقوموا بدعوة أو يسيروا
حسبوا في نسكهم كل شيء فعلام الإدلاج والتهجير ؟
كل (شيخ) و(سيد) عنده قبر إليه التيسير والتعسير !
وإليه اللجا وفيه المرجى وعليه التكلان وهو المحيرُ
كاشف الضرِّ إن أصيبوا بسوء فإليه ابتغالهم والحضور
وإذا ما ابتغوا قضاء مرام فإليه قربانهم والنذور
كيف ترجى هداية البدو منهم وهم عن سنا الهداية عور ؟
إن حسب البداية أن يستظلوا في حمى دجلهم وأن يستجيرا
ويكونوا على هواهم نزولا بيديهم شئونهم والأمور
حسب ذلك الخضوع ليضحوا سعداء وذنبهم مغفور

- ٧٨ -

آه لو هُذِبَ البداءُ لأمسوا وبهم للأنام حذر كبير
ولكفوا عن قتل بعضهم البعض وقطع السبيل وهو كبير
ولساد الأمان وانبسط الخير وزال الشقا وعم السرور

* * *

المشهد الخامس

(تشرق الشمس ويقوم عامر يشد جملة وهمام يشد
حماره يتهيأ للسفر)

همام : (راكباً على حماره وعامر يحث جملة)

عامر : أنت الذي شَهِبَ بالتذكُّار نازراً بقلبي يا لها من نار !
عامر ما كان حديث البارحة ؟ سوء ختام بعد حسن فاتحة

همام : كيف انطرحت ساقطاً مغمى عليك ؟
عامر : كيف هذيت والنسا بين يديك

همام : لا . ما هذيت ...

عامر : وأنا لم أنطرح وإنما قلت لجسمي استرح !!
أواه ! لو لم تكن اليوم معي لكان لي شأن مع الخب الدعي !

- ٧٩ -

همام : يا عامر أتمدّ وخل الطيشا فقتلك النفس يُمرّ العيشا
دعها وما اختارت وخذ سواها فأبلغ النفس بها منها

عامر : همام هبها لك هل تقوى على أن تلزم الصبر على هذا البلا ؟
لا والنبي المصطفى المختار !

همام : ويحك ! لا تحلف بغير الباري
فإنه نوع من الإشراك بخالق الأكوان والأفلاك
وقد نهانا عنه سيد البشر أليس في قول الرسول مزدجر ؟

عامر : أقسمت بالله ورب البيت ورازق الحي ومحيي الميت
لأسقين النغل موتاً أحمرأ وأروين من دمائه الثرى
وأفتكنّ بعده بالفاجره أفلّفها قبلي لدار الآخرة !

همام : يا عجباً تقتلها وترتقب بعد لقاءها بدار المنقلب ؟

عامر : إني أحبها ، ولولا حبها لكان مني الطلاق حسبها
تأبى عليّ غيرتي عليها تركي سواي أويأ إليها
يرغم أنفي أن أسومها الردى وبعدها سوف أموت كمدأ !

همام : ألا تخاف غضب الرحمن في قتلك الأنفس بالطغيان ؟

- ٨٠ -

عامر : من ذا يخاف الله بعد اليوما ؟ قد ذهب الناس فخل اللوما
أنت تقول الحلف بالتي محرم في شرعه السوي
فانظر إلى الأنام هل تورعوا عنه بنهي المصطفى وامتنعوا ؟
أما تراهم يلهجون بالقسم جهلاً بكل رمة من الرمم ؟
يرون إيلاء بعد الله أعظم من إبلاتهم بالله

همام : ما أنت والناس ، عليك نفسك فليس من يدخل منهم رمسك
أعزز علي أن أراك عاقلاً منور الفكر وتغدو قاتلاً

عامر : همام إنني شاكر وداك ونصحك المحوض واجتهادك
فإن أطق الكف عن ضلالي فالفضل للنصح النفيس الغالي
وإن تغلب الشقا عليه فلست إلا من بني غزّيه !

* * *

الفصل الرابع

المشهد الأول

« همام - خارج باب مدينة الشحر ساحل حضرموت
عائداً إلى سيون - بعد أن قضى عامين ببلاد جاوا - راكباً
على حماره ومعه دليله النجاف حاملاً فوق ظهره رزمة من
الكتب في غلاف من الشمع المتين » .

همام	: أسرع السير يا دليل !	أسرع السير يا دليل !
	إن بي ظمأة لما	بسيون سلسبيل
	بلّ منى صدى الجوى	واشف من جوفى الغليل
	ليت شعري - وكادت النفس	س من يأسها تسيل
	ومضت أربع طوال	- وعمر النوى طويل -
	في انتظاري - والانتظا	ر لأهل الهوى قنول
	أتري الوصل لي متا	ح أم الوصل مستحيل ؟!
	أفدا ما دنوت ميلا	تباعذت ألف ميل ؟!
	قسماً بالحبيب ! - أستغ	فر الله ! - بالجليل
	لا أرى الوصل ممكناً	أو أرى وجهه الجميل
	وأراه بعين رأسي	بلا حائل يحول !
	وأحسّ اليمين في	فرعه مرة تجول !

ضاق صدري ، وعيل صبي
وتناهى بيّ الجوى
وتداعست أضالعي
واستحالت قريحتي
أتهادى كشـارب
جـاحم في جـوانحي
كلما قلتُ : ذاب قلبي
رجّ صدري خفوقه
فحنانيك لا تلم
ليت شعري هل لي إلى
فأمانني أو شـكت
أبحقلي وحدي أنا الجـد
أسرع السير يا دليل
ري وضلتُ بي السبيل !!
وبرى جسمي النحول
من نشيج ومن عويل
من ذكاء إلى ذحول
أوهنتُ ساقه الشمول
يتلظى بلا فتيل
وغالته منه غول
فتوقعتُ أن يميل !!
أو فلِمَ أيها العذول
ما تمنّيته وصول ؟
أن تموت من الذبول
ب والخصب في الحقول ؟
أسرع السير يا دليل !

النجاب : يا أخا الحضر هل ترى :
لست أحتاج أن تقول :
لي من النفس سائق
أحتشي أن يفوتني
(يصمت قليلاً ثم يقول)
رجلاً سيره ثقیل ؟
أسرع السير يا دليل
ينهب الحزن والسهول
« نصر » نجاب (باعقل)

أين نصرٌ مني ؟ وأين
أنا سيري منظم
وهو يشتد في الذم
من المضمـر الهزيل ؟
لا بطيء ولا عجول
ل فيعتاقه الذمـل

أنا غول القفار وابـ — من الدياميم والهجول
لا أبالي إذا مشيتُ أذى الشمس والوحول
همام : ما لتجارنا عباديد شتى يتبارون بغضة وحقودا
كثروا عدة وقلوا غناء وأضاعوا بالافتراق الجهودا
وغدوا كل واحد بيريد ما لهم لا يوحدون البيريدا ؟
فيطيقوا إرساله كل أسبو ع ويجروا به نظاما سديدا
إن في طوفهم لو اتفقوا أن ينشعوا السفن في البحار عديدا
وبها يستغنون عن سفن لأجـ نب يصليهم العذاب الشديدا
ولقد كان للحضارم في البحـ ر سفين أيام كانوا أسودا
جاريات من الخليج لبحر الـ هند حتى (أندونيسيا) لتعودا
داؤنا أنا فنخب جماعات وقد ندرك النجاح فرودا
أسرع السير يا دليل ! أسرع السير يا دليل !
واصل السير لا مبيت — إذا شئت — أو مقيل
النجاب (متهكما) :

أسرع السير يا دليل أسرع السير يا دليل
هل تراني طيارة هل تراني أوتوميل ؟؟
(يشير بيده إلى طريق السيارات التي بدى بإصلاحها بحضرموت
بين الساحل والداخل حيث يرى العمال يشتغلون بتعبيدها)
دونك انظر طريقه ! فتتهى عما قليل
همام : ليتـه قد مشى فأو صلي الليلة (السحيل)^(١)

(١) الجانب الغربي من سيرون .

النجاب : لا رعى الله عهدده إنه عهد عزرائيل
لا تقدره يا الهى وعسر له السبيل !
وإذا تم فأبلسه بأذى البدو والقييل !
وإذا ما مشى فلا فارق الوحل والسيول !
همام : قل لي لأية علة أبغضت خلقاً من حديد ؟
ماذا جناه عليك حتى سى خلته الخصم العنيد ؟
النجاب : هو قاطع رزقي القليل - من كل جمال وحم -
أتريدني كالخضر إذ صار وماش باليريد
وبشير آمال النهو خالوه مفتاح السعود ؟
تيسوا وحاب رجاؤهم ض وفجر أيام الصعود
وتعثرت بهم الجلود !!
همام : (لنفسه)
فهم الفتى البدوي ما لم يفهم الناس الرشيد
(ثم للنجاب)
حييت من فطن فدا وك كل ذي ذهن بليد
ما قلته كاف ليوم سقت ما يضر ولا يفيد
وراء ذاك سوام أبرص تنفث السم المبيد
سئل المالك والشعو ب وهیضة العصر الجديد
من كل لص قاتل للمال والخلق الحميد
لكن ظلم الناس بعد ضهم لبعضهم عتيد !
ليعيش فرد واحد لا بأس من شعب يبيد !!
ولسوف يجنون الندامة منه والأسف الشديد !

المشهد الثاني

« منبسط من الأرض فسيح يرى في آخره من جانب
الوادي مدينة « سيون » على بعد بحيث لا يتبين الناظر إليها
إلا بياض منائرها وأبنيتها العالية مخفوفة بهالة عظيمة من خضرة
النخيل المحيطة بها من نواحيها » .

همام : أهذه سيون أم
للله ما أجملها
تحسبها - من بُعد -
قد نثرت في تربها
تفوح في أرجائها
يخنو عليها جبل
تضرب في أجوائها
كأنها أعمدة
تجعلها الرياح في
أو كقرون حامل الـ
أثقله آثامها
قبابها زاهية

جنة عدن أزلفت للمتقين
منظرها الزاهي يسر الناظرين
حديقة خضراء تسقى من معين
جنابذ اللؤلؤ والدر الثمين !
روائح الورد وعرف الياسمين
كما تضم طفلها الأم الحنون !
منائر تخفى مراراً وتبين
قامت عليهن السماوات المتون
تلعبها أهدافها إذ ينبرين
أرض على قرنيه فيما يزعمون
فمرقت من جوفها تلك القرون
لو لم يكن حرمها أسمح دين

(همام في بلاد الأحقاف)

هَدَمَ بعضها (بنو الـ توحيد) فيما قد خلا من السنين
فهي ترى كأنها بيض نعام أجفلت من صائدين
ريعت فداست بعضه فهو على الأرض فليقّ وطحين

* * *

لئن يكن منظرها وحسنا الزاهي متاعَ المبصرين
فإن في مَعْبَرها خير متاع لقلوب النازلين
تفرّدت حسانها بالظرف واللين إلى خلُق متين
ورقة كأنها نسيب (عباس) أرقته اللحون
كأنما أنت إذا جُزّت بها تخطر ما بين الغصون
إياك من لحاظها إياك أن تصرع من سحر الجفون

ينتهد

كأن (حسناً) أفرغت على ربها من جمالها المبين
نضارة كخدها تعبٌ حتى ترتوي فيها العيون
ورقة في جوها كما تندی خجلاً منها الجبين
في مائها حلاوة من ريق حسن ما حمور الأندرين؟
وفي محيّا شمسها ملاحه من ذلك الوجه الحسين
وفي قلدود نخلها من قد حُسن هيف به تزين
صباحها الفضة قد سالت على زمردٍ من الغصون
وذهبٌ أصيلها يبتعث الأنس ويهتاج الشجون
من نحرها وثغرها ووجتها سرقا تلك الفتون
وليلها مُعَنبر كفرعها في عرقه وفي الدُجون

مدينة شبيها في حضرموت وسواها لا يكون
(يتأوه)

لولا توانى أهلها لقلت هذه جزاء العاملين
ليس لديهم عمل إلا قضاء الوقت في لهو مشين
يشقون في غربتهم بالجمع للمال وهم مقتصدون
حتى إذا ما وصلوا إلى بلادهم إذا هم يسرفون
كأنهم قياصر يبدون المال لا يكثرثون
ولا يفكّرون في خدمتها بالنزر مما يجمعون
ولا يزالون في غربتهم صناعة أو يخذقون
لينفعروا أوطانهم بها إذا عادوا إليها راجعين

* * *

المشهد الثالث

(همام في مكتبه وعنده صديقه محمد يزوره زيارة
خصوصية بمناسبة قرب زواج همام)

همام :	محمد
محمد :	لييك !
همام :	ماذا ورا ءك من خير ؟
محمد :	ليس عندي خير

سوى أن قلبي مستبسر بنيل المنى وبلوغ الوطر
وأنتك سوف ترى من تحب قريباً وينزاح عنك الكدر

همام : أخي أنا في مربة بعد في لقاء حبيب فوادي الأغر
فقد درجت في انتظاري السنو ن وما بل من ظمأي المستعر
إذا وعدوني جمادى اللقا تلاشت جماداهم في صفر

محمد : همام زمان المطال انقضى وهذا أوان الوصال ابتدر
أتغري بقلبك برح الشكو ك والوصل بعد غدٍ منتظر ؟
وهذي بيوتك قد زينت وأهلوك في نشوات الحبر
وأكدت أمس على المطربين ن - على رغم أنف الذي قد خطر -
بأن يحضرونا مساء الزفاف وصبح الدخول وليل السمر

همام : سلمت وهل رضي المطربو ن بذلك ؟
محمد :

همام : همام :
خشوا المانعين لهم أولاً فداويت بالمال ذاك الحذر
ومنعهم الناس أن يطربوا كما يطربون . دليل البطر
وليس بذلك لهم حجة سوى كبريائهم والأشر
محمد : لا أتغني المطربين على أنني لك ممن شكر
لألا يقال : لحظ هوا ه دعا للمساواة بين البشر
وإن سروري بالوصل لا عن نقر الدف أو من زمر
ولكن سيزدان بالمطربين زواجك ! هلاً به تفكر !!

صديقي إلى مَ نَحَامَ الغرام ؟ إلى مَ فؤادك مثل الحجر ؟
إلى مَ أراك وحيد الظلام وحيد المقبل ، وحيد البكر ؟
محمد : همام رويدك !

« يبتدره البكاء فيعوقه عن إتمام كلمته » .
همام : (لنفسه) ويلاه مال صديقي أدمعه تبتدر ..؟
أشق عليه كلامي ؟

(ثم لمحمد) محمد ————— عد زلت لساني ألا تغتفر ؟
محمد : (لنفسه)
إلهي أبحثُ بسر الهوى وكنت على كتمه أصطبر ؟

ثم لهما : صديقي أنحسب أنك سؤ تَ فؤادي ودأبك لي أن تسر
أمثلك يرحني قوله ؟ فلك لعمرى إحدى الكبر
ويا ابن الأكارم ماذا جنيتَ حتى تنصل أو تعتذر ؟
همام كتمتك جُهدي الهوى ولكن أبى الحب أن يستتر
همام أنعهد مني البكاء همام أتعرف في الخور ؟
وكنت ألومك فيما مضى فيا ليتني كنت فيمن عثر !
وأعجب كيف تصول الظبا ءُ على الأسد؟ حتى رماني القبرا

همام : محمد ! لا تحسنُ الدموع ودعها على رسلها تنهمر !
فإن القلوب إذا أجدبتُ بحزن فإن الدموع المطر !
وقل لصديقك أيُّ الظبا ءِ رماك وصرّح له بالخبر
فما في الصباية عار على فتى طاهر الذيل عف الأزر

محمد

: (يكفكف من دموعه)

همام أتذكر « علوية »
 سلية طه ، فتاة الحجي ،
 أتتني يوماً على حالة
 محمد ! هذا أوان الغياث
 مضت ليلتان وما عندنا
 وأختي غارقة في السفا
 وزوجة عمي في طلقها
 وعمي سافر منذ شهو
 وكان لدينا بحانوته
 فشنع إخوانه بل عداه —
 يُدنس أحسابنا إذ يرو
 فما أنهت القول حتى غدو
 وأذهلها الحزن عن موقفي
 فأبصرتها من خلال الحجا
 رأيت الجمال ، رأيت الجلال
 وراحت نت عليّ الثنا
 وقد تركتني سليب الفوا
 أردد أقوالها في الضمير
 فهأنذا بعدها يا همام
 رحمت فأسعفت ثم انثيت
 فلطفك يا رب فيما قضيت
 نصيرتنا في الجهاد العسير ؟
 مثال الكمال مثال الطهر
 تذيب القلوب وتجري العبر
 وهذا أوان تلاني الخطر
 من القوت شيء به نعتصر
 م وإني لأحسبها تحتضر
 تعاني المتاعب والوقت قر
 ر فلا عاش مضطره للسفر
 يعيش ويتجر فيمن تجر
 عليه ، وقالوا : ليم قلير
 ح إلى السوق كالناس أو يتكرا
 ت ويوشك قلبي أن ينفطر
 فلم تحفظ ولم تستتر
 ب كما لاح بين السحاب القمر
 رأيت الهوى والشباب النضر
 بما قد قضيت لها من وطر
 د قليل القرار ، كثير الفكر
 ترن بأذني كصوت الوتر
 قصير الرقاد طويل السهر
 وفي كبدي مثل وخز الإبر
 فلم ينج مما قضيت الحذر !

همام : يا صديقي عندي إليك عتاب واطراح العتاب مني قبيح
أكذا تكلم الحوادث عني وبما دونها إليك أبوح ١٩

محمد : يا خليلي إن كان ساءك فعلي فاعف عني، فأنت عني صفوح
إن عيب الهوى عليّ ثقیلٌ وببئيك سره أسريح
غير أنني كتمته عنك جهدي حذرًا أن ينالك التريح
ولو أنني نظرتُ فيك لحظي يا خليلي للذلي التصريح

همام : خف عن ظهرك العناء لظهري فاسل عنه فإنه مطروح
إن ما أنت آملٌ سوف أغدو ساعيًا في تحقيقه وأروح
فدع الهم إنها سوف ترضا ك وحسب المليح زوج مليح
محمد : (لنفسه)

هو يدري بأن ما أتوخا ه مُحال من الأمور طروح^(١)
فهو يبغي بذلك تخفيف حزني إنني بالأسى إذا لذبح

* * *

المشهد الرابع

(ساحة كبيرة أمام بيت العروس « حسن » فيما بعد منتصف الليل . يرى هناك جمهور من النساء يصطففن لزفها إلى بيت « همام » تتوسطهن « حسن » عليها غطاء لا ترى منه . تحيط بهن الوصائف بأيديهن الشموع تتقدمهن القينات المغنيات بأيديهن الدفوف وهن يتغنين بينما الجمهور يتحرك ويتجه - في سير بطيء - إلى جهة بيت همام) .

القينات	:	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
		فما أجل عرسا	يغمره سناها !
الجمهور	:	نحن نزف الشمس	والشمس في ضحاها
		فما أجل عرسا	يغمره سناها
القينات	:	نحن نزف الحيا	نحن نزف المني
		نحن نزف الضيا	نحن نزف السنا
الجمهور	:	نحن نزف الشمس
	
القينات	:	يا عصابة الغواني	هلم للتطريب !
		اشدون بالأغاني	واهتفن بالنسيب
		واضمذن بالأماني	دوامي القلوب

- ٩٣ -

- الجمهور : نحن نرف الشمس
... ..
القينات : حيين بالسلام
هذا الشعاع المسكوب !
واثنان بالانغام
كل حزين منكوب
الجمهور : نحن نرف الشمس
... ..
القينات : روائح الجنان
تبقى من هذي الدور
كأئنا المغاني
أمست مراقص الحور !
نحن نرف الشمس
... ..
القينات : نحن نرف المالك
في صورة الإنسان
يجلو ظلام الحلك
ويشع الأحزان
فهل لديكم فلك
بنوره يزدان ؟
الجمهور : نحن نرف الشمس
... ..
القينات : يا قمر السماء
غضب الجفون أغضب
بالذكر والأسماء
عوذت بدر الأرض
الجمهور : نحن نرف الشمس
... ..

(يقربون من بيت همام)

- القينات : سقن إلى همام
جمال هذا النادي
واحدون للضرغام
لباة هذا الوادي

الجمهور : نحن نرف الشمسسا

... ..

في الطابق العلوي من دار همام حيث تستقبل نسوة الدار
النسوة اللاتي زفن « حسنًا » . تنحاز نسوة الدار إلى جهة ،
ونسوة الزفاف إلى جهة أخرى والقينات في الوسط يضربن
بالدفوف .

القينات : الئمن والإقبال والسعد والسعادة

للمعرسين فال والفضل والزيادة

شاعرة نسوة الزفاف : نحن نرف الحسنا نحن نرف بلقيس !

ثم سائرهن : نحن نرف لئبى فهل لديكم من قيس ؟

شاعرة نسوة الدار مجبة : همامنا كالمأمون إن زفتم بوران

ثم سائرهن وهكذا في باقي الأبيات إلى آخرها

وإن تكُن بلقيسًا فإنه سليمان !!

نسوة الزفاف : النصر للعروسة !

نسوة الدار : بل هو للعروس !

نسوة الزفاف : للدرّة النفيسة

نسوة الدار : للجوهر النفيس !

نسوة الزفاف : للحرّة المصونة وربّة الجمال

نسوة الدار : للدرّة المكنونة واسطة الآلي !

نسوة الزفاف : لمفخر المدينة لسيد الرجال

نسوة الزفاف : الناس يعرفونه بكرّم الخلال

نسوة الزفاف : النور والشعاع ووهج الشموس

والجواهر اللّماع	وحبّ الكؤوس	
جميعها أشياع	لهذه العروس	
: أجد والكمال	وكرم الأخلاق	نسوة الدار
والقول والفعال	وحسب الأعراق	
جميعهنّ آل	عروسنا الغيداق	
: نحن نرف الحسناء	نحن نرف بلقيس	نسوة الزفاف
نحن نرف لبنى	فهل لديكم من قيس ؟	
: همامنا كالأمن	إن زفتم بوران	نسوة الدار
وإن تكن بلقيس	فإنه سليمان	
: كلا العروسين زين	للمجد والعلاء	القينات
فلا تفاضلن بين	سراجي السماء	
أين الجرة أين	كواكب الجوزاء	
أصوغهنّ لدين	تاجين بالسواء	
: يارب باركهما	في ذا الزواج السعيد	القينات ثم الجميع
واجعل زمانهما	كأنه يوم عيد	
وانفحهما بالوئد	مثل دراري النجوم	
في ظل عيش رغد	وفي صفاء يدوم	

(ستار)

الفصل الخامس

المشهد الأول

علوية : (على فراش المرض . حسن تعوّدها في بيتها) .

علوية : عُدِّيتي حُسْن؟ مرحباً بك يا أخد ستُ !
 حسن : وقالكِ الإله ما تحذرينا !
 علوية : ما الذي تشتكين ؟ نفسي فدائ لك من كل علة تشتكيننا !
 علوية : أقصري حُسْن أن تُمنِّي على ربكِ سوءاً لعله أن يكوننا
 بل سلى الله لي الشفاء عسى أن يقبلَ الله منك ما تسألينا
 أو سليه لي العزاء فإني لا أرى الداء تاركِي أو أبينا
 حسن ! إني أحسُّ في الصدر ناراً تتلظى كأنَّ فيه أتونا !
 أشرب الكأس بعد أخرى من الماء فلا أرتوي كما ترتوينا
 أحسب الماء يستحيل بحوفي هُبَّا في الحشى يمن أنينا
 أنا لا أستطيع أن أدع الماء ، ولا الماء قادر أن يُعينا !
 حسن : لا تخافي سوءاً فمثلكِ في العفَّة والنبل ما نعى الوالدونا
 تبذلين المعروف جهدك لنا س ، وتولين منهم المسكيننا
 وتراعين للجوار حقوقنا وتواسين بائساً وحزيننا
 وتوالين من يمامي عن الحق وإن غاظ فعلك الأهليننا
 فإله الورى سيرعاك ، لن يتـ ترك يوماً عباده المحسنينا

علوية

قَدْكَ ؛ هذا جميلٌ ظنك في أحد
 إن ربي بخلقهِ للطيف
 غير أن العباد بعضهم يظن
 أنظريني هل بي سوى ظلم أهلي
 وتصديهم لما ليس يعني
 مات زوجي والدي فلم يُبق
 غير عمي - وأنت تدرين ما عم
 قد وهى جسمهُ ، وخارت قواه
 ألبأوه إلى السفار ليحلو
 زعموا أن بيعه وشراه
 ثم إنني مكثتُ في عصمة الأيد
 لم يحسن منهم ليخطب ودي
 وأبي عالم وجلي حُر
 ولعل المرأة تصدق عني
 : بل تعالى الذي براك ، وحلاً
 سطعت أنوار النبوة فيه
 : وأتاني محمد وهو من بيت
 رجل يملأ الصدر كمالاً
 كان لي كلما تضايق حالي
 وهو كفتي وكفاء أفضل مني
 فأتوا يزجروني عنه حيناً
 ما رأوا لي من قبل ذلك داراً

حسن

علوية

تلك ، لا خيب الإله الظنوننا
 يتولى عباده الصالحيننا
 لم بعضاً ، عن ربهم ساهونا
 لي وأبناء عمي الأقريننا ؟
 هم ، وعن واجباتهم يعرضونا
 لي الدهر عاتلاً أو خدينا
 سي ؟ فقير يهازل الستينا
 وابتلاه السقام حيناً فحيناً
 عنهم العار ، هكذا يزعمونا
 يكسوان الأشراف في القطر هونا
 هم وفي رقبة الزواج سنينا
 أحد غير فتية عاجزيننا
 وأصولي أئمة متقون
 إن وجهي ما كان في الحسن دو
 لي جمالاً يحير الناظريننا !
 فاستحالت مباحجاً وفتونا !
 حبيب أصلاً كما تعلمينا
 وخلاً كما يسر العيوننا !
 ساعداً قبل خطبتي ومعينا
 حسباً أو فضيلة أو ديناً
 ويسوموني التهليل حيناً
 فأتوا بعد ذاك يستبقوننا

- ٩٨ -

ما ثنّاهم عن خطيبي غير فقري ليس عندي ملّال ما ينشدونا
 ذهبوا لابنة الغني وإن لم يك من يبتهم وإن كان دوننا
 وانبروا بمنعونا من سواهم فلمن ويحنا إذا يتركونا ؟
 فدعيني يا حسن أبكي مصابي ! بم أبكي وقد أرقّت الشّعونا ؟
 رب ! كن لي وللتعيسات مثلي ليس بين الأنام من ينصفونا

(لا تمالك حسن عن البكاء فتتهمر الدموع من عينيها)

علوية	: مِمّ تبكين حَسَنُ ؟
حسن	: من أجل بلوا كِ فوادي أحسه مطعوننا !
علوية	: تب ذا العيش ! لا هوى لي في العيد ش إذا لم تحظي بمن تعشقينا
حسن	: أقصري حسن ! بل يظل همام بك في غبطة بها تسعدينا
علوية	: فوَقْنَا اللَّهَ ..
حسن	: فوَقْنَا أَيْضًا اللَّهَ — هَ سَاسو جراحنا ويلينا

* * *

المشهد الثاني

(حسن في غرفتها . همام داخل إليها) .

حسن	: حبيبي ؟	
همام	: أجل مُنيّتي !	
حسن	: أمالك في قبلة ؟	
	تعال إلى جانبي أمالك في ضمة !	
همام	: (يهوى إليها)	
	بلى يا حياة الفوا ، وليك يا مهجتي !	
	هبيني لالك هبيني أطفئ به غلتي !	
	هلمي نطف بالحيا ة كالنحل بالزهرة !	
	فما في المنى مثل قبلة الزوج للزوجة !	
	ننال بها نعمة وحسبك من نعمة	
	ونجني بها لذة وناهيك من لذة	
	وهل كنعيم يجيء من الله بالرحمة ؟ !	
حسن	: حبيبي ! أمالك عن هوى الشجر من توبة ؟ !	
	أبي أنا وحدي نسي	
	أرى نبرات العُمو	
همام	: حبيبة قلبي ! أقللي عليّ من الغيرة	
	هلمّ ادخلي للفؤاد وافضلي إلى الحبّة !	
	فهل تجدّين بها لغبيرك من علقة ؟	

- حسن : كذا فلتكن لي في حياتي وفي موتي
فما في حياتي خشيت بل بعدها خشيتي !
حيبي اغتسم ساعة من الصفو والبهجة !
فقد لا تطول حيا ني ، وتقصر بي مدتي !
- همام : دعي عنك هذا ، وقو لي سوى هذه الجملة
بربك لا تذكرني لنا شبح الفرقة !
فلم نسترح بعد من متاعها الجملة
ولم نقض بعض اللبا نة من هذه اللقية
- حسن : حيبي لا تلجني واشفق على عبرتي !
(تكي) أحس كأن الحما م مني على خطوة !
ويهمس لي خاطري بأنني على رحلة !
- همام : دعي عنك هذي الوسا وس ، جسمك في صحة
ووجهك هذا الجمي ل ينفع بالنضرة
وسوف تجوزين عم ر جلدك والجلدة
- حسن : سَلِمْتَ حيبي لي !
- همام : ولي أنست يا بُنيتي !
- حسن : لقد زال عني الذي شعرت من الخيفة
وذابت همومي منك في كوثر الجنة
- همام : فديتك أحسن ستبقى بييتي كالشمعة !
وتأذن لي بالرحيل لأم القري مكية
وتدعوني لي الله أن يقصّر من غيبيتي
كما تترجّاه أن يحقق لي طلبتي

: أحجاً تريد ؟

حسن

: أجـ

همام

لأسعى هناك لتزويج
 محمد جلف الفرائش
 أضرب به اليأس في
 وأحشى عليه المنية
 وأخبرني أنه
 وأن بأم القرى
 فقد جاء منها أبو
 وفتش في النسوة الـ
 فقالوا له : لانتما
 فثارت به غضبة
 ومالت به عزة
 وقال إذا لم يكن
 فلا بـارك الله في
 وزوجه ذو الجلا
 فعاش سعيد الفوا
 كذا عن أبي أمه
 : همام ! يئمن الإله
 يرافقه لك الله في
 وإنسي لمسرورة
 ومن كمحمد في
 وشيئا من القرية
 حج خلتي من خلتي
 ينوء من العلة
 هـواه لعلو
 من هذه الصدمة
 عمت إلى العثرة
 معالـم ذي النسبة
 إلى هذه البلدة
 شرائف عن زوجة
 ثلك في بيتنا أثبت
 وبورك في الغضبة
 وبورك في العزة
 لدي سوى نسبي
 خلالي ولا همتي
 ل من أمه البرة
 د بها هاني العشرة
 حكى مجمل القصة
 وفي الحفظ والعصمة
 خطى هذه السفرة
 برعيك للصحة
 ولائك والذمة !

حسن

- ١٠٢ -

بِحَبِّكَ عَطْفِي عَلَيْهِ وَحُبِّي لِعُلْوِيَّةِ
 أَلَمْ يُسْعِياً قَبْلُ فِي دُخُولِكَ فِي عَصْمِي ؟
 أَلَمْ يَذْلا الْجُهْدُ فِي هِنَائِكَ أَوْ غَبْطِي
 وَقَدْ عَدْتُهَا أَمْسٍ وَهِيَ تَقَعَّقُ بِالزَّفْرَةِ !
 بِنَفْسٍ تَرِيدُ الْحَيَاةَ عَلَى جَسَدٍ مَيِّتٍ !
 تَنُوحُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَزْخَرُ بِالْحَسْرَةِ !!
 وَقَدْ أَنْفَذَتْ دَمْعَهَا فَبَكَيَ بِلا دُمْعَةٍ !
 رَثِيتُ لَهَا يَا هُمَامُ وَخَفْتُ عَلَى خَلْقِي
 لِأَنِّي أَرَاهَا تُشِيرُ إِلَى الْمَوْتِ مِنْ خُفْيَةٍ !
 فَمَنْ أَجْلُهَا يَا هُمَامُ شُكُّوكِي فِي صَحْفِي
 وَاحْسَاسُ قَلْبِي بِأَنِّي قَرِيبٌ مِنَ النُّقْلَةِ
 وَلَكِنْ لَعَلَّ الْإِلَهَ يَكْشِفُ مِنْ مَحْنِي
 سَامِضِي لَتَبْشِيرِهَا وَتَفْرِجُهَا بِأَلْيِ
 لَعَلَّ بِهَا أَنْ تَكْفُ مِنْ عَلَنِ اللُّوْعَةِ !

* * *

المشهد الثالث

(محمد على فراش المرض . ليس عنده سوى أمه
المعجوز تعلله من حين إلى حين وتدخل عليه الخادم بمكتوب فيفضه
بيد مرتعشة فإذا هو من حبيبته علوية وإذا فيه) :

يا حبيبي ! مني عليك سلامٌ وسلام الرحمن فوق سلامي
يا حبيبي إن المنيّة جأّت كلنا شاربٌ بذاك الجأّم
والسعيد الذي يموت سليمٌ الـ قلب عَفَّ الرءاء من كل ذام
فمتى جاءك النعيُّ بموتي فترحم على شهيد الغرام !
أنا في النزاع يا حبيبي فصرّاً لا تضعّض لحادث الأيام
ووداعاً إلى اللقاء على الكو ثرا في الخلد! في جوار السلام!
إن تحملُ بيننا الحياةُ ففي الخلد سدّ سنحظي بلقيّة ووائم
سيرى الحائلون دون الجبيّة سين جزاء الإله ذي الانتقام
علويّة

محمد : (يتقلب على الفراش ذات اليمين وذات اليسار بجهد
ومشقة)

هي في النزاع! أه ما أعظم الخطـ ب وأقسى على فؤادي الدامي!
هي في النزاع! ربّ هون عليها! حسبها ما رأت من الآلام!
منعوها الحياة ظلماً فأودوا بحياة بريّة الأحلام
رب! لاخير في الحياة! فألحقـ ني بها واكفني عناء السقام
هي روح الوجود مني وما يُصـ نغ بعد الأرواح بالأجسام ؟

أَكْذَا نَتْرُكُ الوجودَ ولم نَحْظْ بوصول ، ولم نَفْزِعْ بِمِرام ؟
أَكْذَا يُرْفَعُ البساط وما دَا رَتَّ عَلَى العاشِقِينَ كَأْسُ مِدام ؟

(يَحَاوِلُ أَنْ يَدْحَرْفَ إِلَى جَنْبِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الضَّعْفِ وَالْإِعْيَاءِ)
رَبِّ مَاذَا أَحْسَنُ ؟ هَذَا فَتُورٌ عَجَبٌ فِي مَفَاصِلِي وَعِظَامِي !
خَارَ جِسْمِي فَمَا أَطِيقُ حَرَاكًا ! وَتَنَاهَتْ بُرُودَةُ الْأَقْدَامِ
مَا لِرَأْسِي أَضْحَى عَلَيَّ ثَقِيلًا وَجَفَوْنِي يُغْرِيبُنِي بِالنِّمَامِ !
وَيَدِي لَا تَطِيقُ حَمْلَ سِوَاكِي ! وَلِسَانِي تَعَثَّرَتْ بِالْكَلامِ !
وَفُوَادِي دَقَاتِهِ تَتَوَالِي عَلَّ هَذَا نَذِيرٌ قَرَبَ الْحِمَامِ
(يَتَذَكَّرُ صَدِيقَهُ هَمَامًا)

أَيْنَ وَلَّى هَمَامٌ ؟ يَا لَيْتَهُ عِنْدَ سَدِي أَرَاهُ فِي مُتَهَيِّ أَيَّامِي !
نَظَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ مِنْ صَدِيقٍ مَخْلُصٍ لِي عَلَى مَدَى الْأَعْوَامِ
كَمْ هَدَانِي مِنَ الضَّلَالِ ، وَكَمْ عَبَّ سُدُّ سُبُلِ الْحَيَاةِ مِنْ قَدَّامِي
أَمَّ صَوْبَ الْحِجَازِ فِي لَفْحَةِ الصَّيْدِ فَحَرِيصًا عَلَى قَضَاءِ مِرَامِي
لَيْسَ يَدْرِي أَنِّي بِمَدْرَجَةِ الْمَوْتِ وَأَنِّي عَلَى شَفِيرِ الرَّجَامِ
وَمَضَى غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ حُسْنَ مُنَيَّتٍ بَعْدَهُ بِحُمَّى لِسَامِ
لَيْتَ شَعْرِي إِنْ جَاءَ نَعْيِي هَمَامًا ثُمَّ مَاذَا تَكُونُ حَالُ هَمَامِ ؟
أَوْ أَصِيبَتْ - لَا قَدْرَ اللَّهِ - حَسَنٌ فَهِيَ أَدْهَى فَجَائِعِ الْأَيَّامِ !
وَهُوَ فِي غُرْبَةٍ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ يَهْدِي فُوَادِهِ الْمُتَرَامِي !
مُنَّ يَا رَبِّ بِالشُّفَاءِ عَلَيْهَا لَا تَذَرُهَا رَمِيَّةً لِلْسَّهَامِ

* * *

إِنْ مِنْ خَلْفِهَا فَتَى يَنْصُرُ الْحَقَّ جَهَارًا وَعَنْ هَذَاكَ يَحَامِي

- ١٠٥ -

شعّ من هديه على القطر نور
واستعاد الجمودُ سلطانه الضخ
هي سلوانه الوحيد من الدنـ
عونه إن جنى الجهاد عليه
فإذا مات عاد للإسلام
سمّ ، وعزّت سواعد الأوهام
يا إذا ضاق بالخطوب العظام
وأراه تنكّر الأقسام
(يمسك يديه على أضلاعه)

يا فؤادي دنا الخلاص ! فصبراً
وستلقى الحبيب في ربوة الخلد
وسأغدو إلى الإله فيعفو
وسأشكو إليه من رزأوني
وأراقوا دمي البريء ، وضحواً
تخذوا الدين جنةً يتوقّو
فسيدرون أنني علّويّ
غير أن الحِمَام أهون عندي
وادّعائي به على الناس فضلاً
عزّ دين الإسلام ! قد جعل النـ
لم يدع ميزة لزيد على عمـ
سوف تسلو هذي الجراح الدوامي !
مد يحبك ثغره بايتسام !
عن ذنوبي وسالف الآثام
- في ربيع الحياة - في أحلامي
بحبيبي في مذهب الأوهام !
ن بها في الورى سهام الملام
تنتهي نسبي لخير الأنام
من فخاري بالجد والأعمام
يتقاضاهم رسوم احتزامي !
س سواء في شرعه المتسامي
رو ، ولا حارث على همّام

(يلتفت إلى أمه وهي بجانب فراشه واهية الأركان تولو إليه
في ذهول وتحدار دموعها ولا تستطيع الكلام من الأسى)
إصبري يا أماه ! فالله أبقى لك مني ومن جميع الأنام !

(يصوب نظره إلى السماء)

- ١٠٦ -

رب رفقا بقلبها المتشظي ! وحنانيك بالدموع الهوامي !
كن لها إن أنت ضحى بطعامي فتنادي وليس رب الطعام !
كن لها إن أنت سريري لإيقا ظي ؛ فترتد عنه والقلب دام !

(تنحدر من عينيه دمعتان كبيرتان ويدخل في دور
الاحتضار الأخير)

(بصوت متقطع)

رب ! من ذا أرى ؟ ملاحكة الموت ؟ ألا مرحبا بوفد السلام !
رب ! إني آمنت أنك أنت الله رب الجلال والإكرام
ونبيي محمد سيد السادات طه إمام كل إمام
كل زادي إليك خالص توحيد لدي فهب لي يا رب حسن الختام

* * *

المشهد الرابع

همام في مكة بمنزل استأجره قريب من المسجد الحرام . يأتيه
موزع البريد ويسلم إليه برقية من عدن . يوقعها همام فيخرج
الموزع .

همام : (بيده البرقية لم يفتحها بعد)

برقية ! ما شأنها قل لي ؟ هل مات لي . أحد من الأهل ؟
إنني أحس كأن حادثة جللا ستُفجّعنني على مهل
يا برق ماذا أنت تحمل لي . إنني أراك تنوء بالثقل !
قلبي يحدثني ؛ ولم أره يوما يحدثني على جهل

(يفتح البرقية ويحيل نظره فيها بسرعة)

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتتُ حُسْنُ ؟ واكبدي

ربّاه .. خذ يدي ! ربّاه .. خذ يدي !

(يسقط من مفعده على الأرض مغشيًا عليه . يسمع جاران

له من الحجاج هبة سقوطه فيفتحان عليه الباب حيث يجذانه

- ١٠٨ -

ملقى فاقد الشعور . يحركه أحدهما ويأتي الآخر بماء ويرشه
على وجهه . يفتح عينيه ثم يتحامل على نفسه حتى يجلس) :

يا حسرتي اليوم فارقت الحبيب إلى
غير اللقاء ! وواحزني وواكمدي ؟
أشكو إليك إلهي ما مُنيت به
من الخطوب ولا أشكو إلى أحد !
كأنما أنا لم أخلق لأشهد من
هذي الحياة سوى البأساء والنكد !
اليوم أسكب دمعي غير منقطع
إن غاض دمعي بمذّده دم الكبد !
يا رب لم يبق لي في العيش من أرب
فلقني راحتي في هذه البلد !

(ينظر مرة ثانية في البرقية)

أماتت إذاً حسن؟ ومات محمد وماتت على أثر السقام فتاته !
ثلاثة أحبابي يوم فقدتهم ! فيا لفؤادٍ أنجنت طعناته ؟
يلوب من الشكوى ويدمي من الأسى وليس إلى غير الإله شكاته
محمدُ يا خير الأخلاء ! والذي صفتُ مثلما تصفو المدام صفاته
حنانيك لا تبعد! لمن أنت تاركي؟ لقاسي زمانٍ أولعت بي عُداته ؟
ويا ساعِدَ الإصلاح والباسل الذي به ارتفعت في قطرنا صرخاته

أَمْضِي وَلَمْ نَهَيْكَ مِنَ الْجَهْلِ سِرِّهِ وَمَا أَنْفَضَ عَنْ صَرْحِ الْجُمُودِ حُمَاتِهِ ؟
 أَمْضِي وَفِي جَنِيكَ قَلْبٌ مَعْطُوشٌ مِنَ الْحُبِّ لَمْ تُبَلِّلْ بِوَصْلِ لَهَاتِهِ ؟
 أَحِينَ ظَفَرْنَا بِانْتِسَابِكَ وَاضْحًا تُغْصُّ بِهِ حَلَقَ الْحَسُودِ شَجَاتِهِ ؟
 أَحِينَ ظَفَرْنَا بِانْتِسَابِكَ وَاضْحًا تَكْفُفُ بِهِ طَرَفَ الْحَسُودِ قَذَاتِهِ ؟
 وَكُنْتَ عَلَى قَابِ مِنَ الْوَصْلِ هَانِئًا تَطْلُقُ عَنْ غُرِّ الْمَنَى بِسَمَاتِهِ ؟
 وَأَنْتِ فِتَاةُ النَّبْلِ وَالطُّهَرِ وَالْحَجَى تَغْشَتُكَ مِنْ رَوْحِ الرِّضَى نَفَحَاتِهِ
 لَضَاعَفَ مِنْ حَزَنِي فِرَاقُكَ أَنَّهُ فِرَاقٌ بِهِ لَاقَتْ حَيِيَّيْ وَفَاتِهِ
 أَرَاكِ وَفَاءً مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهُ فَذَى لَحِيْبٍ بِالْوَفَاءِ مِمَاتِهِ
 وَلَمْ أُنْسَهُ لَمَّا رَأَاكِ مَرِيضَةً فَجَاشَتْ بِهِ فِي مَشْهَدِي حَسْرَاتِهِ ؟
 (تَنْهَمِرُ دُمُوعَهُ)

يَقُولُ : كَأَنِّي يَا هُمَامُ سَأُنْتَهِي كَأَنِّ جِمَامِي قَدْ أَقِيَمْتُ صَلَاتِهِ !
 فَقُلْتُ لَهُ: دَعْ عَنكَ وَهْمَكَ، إِنَّ ذَا حَيَّاكَ نَظَرَ لَمْ تَحُلْ قَسَمَاتِهِ !
 فَأَصْغَى لِقَوْلِي وَاطْمَأَنَّ فُرَادَهُ وَقَرَّتْ - عَلَى سُخْرِ الرَّدَى - رَجَفَاتِهِ
 وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنِّي أَنَا وَاهِمٌ وَأَنْ حَيِيَّيْ صَادِقُ كَلِمَاتِهِ !

(يَرِيدُ أَحَدَ الْجَارِينَ أَنْ يَقِيمَ هَمَامًا مِنَ الْأَرْضِ فَيَجْذِبُهُ
 صَاحِبُهُ)

دَعَا يُرْسَلْ دَمْعُهُ
وَإِذَا مَا كَبَّتْ أَلْسِنَتُهُ
وَيَحْجَعُ مِنْ مُوَجِّعٍ : الجار
مَا عَلَيْهِ الْآنَ بَأْسُ : صاحبه
حَبِيبِي ! مَا لِي فِي رِثَاكَ مَقُول : همام
رِثَاؤُكَ فِي قَلْبِي يَهْدِي أَضْوَاعِي
وَلَا يَسْتَطِيعُ الشَّعْرُ وَصْفًا لَهْوَلِهِ
عَلَى أَنَّهُ الشَّعْرُ الَّذِي الشَّعْرُ دُونَهُ
وَإِنْ قَرِضْتُ أَنْتَ مَصْدَرُ وَحْيِهِ
يَمِيلُ بِعَطْفِ الْكَوْنِ قَدْسِي لِحْنِهِ
تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الْبَلَاغَةِ دُونَهُ
تُغْصُّ بِهِ حَسَادُهُ وَهُوَ سَائِفٌ
وَلَكِنَّهُ الْخُطْبُ الَّذِي الْخُطْبُ دُونَهُ
وَلَوْ غَيْرُهُ أَضْحَى بِهِ بَعْضُ ثَقْلِهِ
فَهَا هُوَ ذَا قَلْبِي كَسِيرًا مَعْطَمًا
لِمَنْ أَطْلُبُ الْعِلْيَاءَ بَعْدَكَ ؟ إِنَّمَا
وَأَيْنَ سَبِيلُ الْمَجْدِ بَعْدَكَ ؟ إِنَّمَا
فَأَنْتَ الَّذِي عَلِمْتَ نَفْسِي رُكُوبَهُ
وَلَقَتْنَاهَا حُبَّ الْمَهْدَى وَجَهَادَهُ
أَتَمُّنِي وَمَا جَفَّتْ رِيَّاحِينَ عُرْسِنَا
أَتَمُّنِي وَلِمَا يَشْفِي قَلْبِي أَوَامُهُ
سَلَامٌ عَلَى قَبْرِ الْحَبِيبِ وَرَحْمَةٌ

لئن كان أنسي في الحياة لقاءه
 كأنني بالثغر الجميل على فمي
 كأنني بالفرع الجميل بمنكبي
 كأنني يميناه تحول بمفرقي
 لئن حالت الأيام بيني وبينه
 ففي جنة المأوى غداً سوف نلتقي
 وإن عزاء القلب إيمانه به
 (ينهض فجأة)

خذوني خذوني إلى المسجد
 خذوني إلى زمزم عليها
 خذوني لأستار بيت الإله
 دعوني أذهب إلى خالقي
 دعوني أحط على بابه
 فإن أحي على لطفه
 خذوني إلى الحجر الأسود !
 تُرد من جوفي الموقد !
 ه أشدُّ بها في ابتهاج يدي
 دعوني أذهب إلى سيدي !
 ثقال الدموع وأستنفد
 وإن يأتني الموت أشتشهد

(يخرج إلى المسجد الحرام يرافقه جواره . يقصد زمزم
 فيكرع من مائها يتوضأ ويذهب إلى المطاف يطوف .. ثم يقف
 تجاه الملتزم ويتعلق بسر البيت :
 الحمد لله اطمأن قلبي ! هأنذا بين يميني ربي ؟
 إن عظمت مصيبي وخطبي فالله يرعاني وهو حسبي !

- ١١٢ -

يا رب أنت الواحد القهار وأنت ذو الرحمة والجبار
تفجّرت من نورك الأنوار وقصّرت عن كنهك الأفكار

* * *

يا رب لا نقض لما أبرمتنا ! فرضّني ربّ بما حكمتنا
لعلني أجهل ما علّمتنا من صالح لي في الذي أقمّتنا

* * *

يا رب ألهمني العزاء الشافي ! واضمّد جروحي منك بالأنطاف
وآتني عزائم الأسلاف فأنت لي الكافي ونعم الكافي

* * *

وأولني مُنْاي في الدارين (و حُسْنًا) اجمع بينها وبينني
في دار خلد بين جنتَيْن أقرّر بذاك عينها وعيني

* *

يا رب وارفع (أمّة الإسلام) واقذِفْ بها إلى المقام السامي
حتى تُرى خفاقة الأعلام على جميع الكون بالسلام

* * *

- ١١٣ -

وَوَحَّدَ (العُرْب) ، فَإِنَّ الْوَحْدَةَ تَحْيِي لَهَا مَاضِيَّهَا وَعَهْدَهُ
تَعِيدُ بَعْدَ الْإِنْدِرَاسِ مَجْدَهُ وَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ يَوْمًا وَعْدَهُ

* * *

وَانْظُرْ إِلَى (الْأَحْقَافِ) بِالرَّعَايَةِ وَأَوَّلِهَا بِفَضْلِكَ الْعَنَايَةَ
بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْهُدَايَةَ فَجَلَّ عَنْهَا الْجَهْلُ وَالْعَمَايَةَ

* * *

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ خَيْرِ الْأَنَامِ سَيِّدِ الْأَبْرَارِ
وَأَلِّهِ وَصْجَهُ الْأَطْهَارِ مَا طَلَعَتْ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ

* * *

هَذَا وَقُوفِي خَاشِعًا بَيْنَ يَدَيْكَ ! وَتَائِبًا مِنْ كُلِّ آثَامِي إِلَيْكَ
مُتَّكِلًا فِي كُلِّ أَحْوَالِي عَلَيْكَ يَا رَبِّ الْجَلَالَ لَيْتَكَ !

* * *

(سِتَارُ الْخِتَامِ)

- ١١٤ -

للمؤلف

- ١ - هُمام أو في بلاد الأحقاف
- ٢ - أحناتون ونفرتيتي
- ٣ - سلامة القس
- ٤ - والإسلاماه
- ٥ - قصر الهودج
- ٦ - الفرعون الموعود
- ٧ - شيلوك الجديد
- ٨ - عودة الفردوس
- ٩ - روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل)
- ١٠ - سر الحاكم بأمر الله
- ١١ - ليلة النهر
- ١٢ - السلسلة والغفران
- ١٣ - الثائر الأحمر
- ١٤ - الدكتور حازم
- ١٥ - أبو دلامة (مضحك الخليفة)
- ١٦ - مسمار جحا
- ١٧ - مسرح السياسية
- ١٨ - مأساة وأديب
- ١٩ - سر شهر زاد

- ١١٥ -

- ٢٠ - سيرة شجاع
- ٢١ - شعب الله المختار
- ٢٢ - إمبراطورية في المزد
- ٢٣ - الدنيا فوضى
- ٢٤ - أوزوريس
- ٢٥ - فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات)
- ٢٦ - دار ابن لقمان
- ٢٧ - قطط وفيران
- ٢٨ - إله إسرائيل
- ٢٩ - هاروت وماروت
- ٣٠ - الزعيم الأوح
- ٣١ - جلفدان هانم
- ٣٢ - قاب قوسين
- ٣٣ - الفلاح الفصيح
- ٣٤ - ملحمة عمر (١٨ جزء ١)
- ٣٥ - جبل الغسيل
- ٣٦ - هكذا لقي الله عمر

رقم الإيداع : ١٠٢٢١ / ١٩٩٧

التزقيم الدولي : 4 - 1112 - 11 - 977

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البحالة



الثلثون ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
معيد جوده السحار وشركاه